الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

٤٤١
٤٤٢

السنة الثامنة والثلاثون
شوال - ذو القعدة ١٤٤٤هـ
أيار - حزيران ٢٠٢٣م

كلمة الوعي

أحداث السودان الدامية: البرهان - حميدتي...
خيانة ما بعدها خيانة

مستقبل حكومة يهود... بين الضغط الداخلي والخارجي ص ١٣

شذوذ الغرب الحضاري مفرخة لكل شذوذ انتهاء بشذوذه الجنسي ص ١٩

المرأة وحمل الدعوة ص ٤٤

دار الإسلام ص ٤٦

الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

٤٤١
٤٤٢

السنة الثامنة والثلاثون
شوال-ذوالقعدة ١٤٤٤هـ
أيار-حزيران ٢٠٢٣م

المحتويات

• كلمة الوعي: أحداث السودان الدامية: البرهان - حميدتي... خيانة ما بعدها خيانة ٣
• النظام العالمي هو ضد الإسلام والمسلمين، ومسار التنمية الباكستاني يكمن في العودة إلى الإسلام وإقامة دولة الخلافة ٦
• مستقبل حكومة يهود... بين الضغط الداخلي والخارجي ١٣
• شذوذ الغرب الحضاري مفرخة لكل شذوذ انتهاء بشذوذه الجنسي ١٩
• العقيدة في نشأة الكون ونظرية الانفجار الكبير (١) ٣١
• سياسة الديون الربوية الخارجية سياسة جاهلية غربية رأسمالية متوحشة تستعبد الحكومات والشعوب ٣٨
• المرأة وحمل الدعوة ٤٤
• دار الإسلام ٤٦
• أخبار المسلمين في العالم ٤٩
• القرآن الكريم: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾ ٥٤
• رياض الجنة: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُسْلِمٍ» (١) ٥٧
• حدائق ذات بهجة: مواقف عزة في زمن عزَّت فيه المواقف (١) ٦٠
• فبهداهم اقتده: قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي ٦٣
• كلمة أخيرة: أستاذ القانون نوح فيلدمان: سعيِّد يعتقل أهم ديمقراطي إسلامي في العالم ٦٥
• غلاف أخير: كتاب (أوطان معادية) يكشف سر توطيد العلاقات بين الهند والاحتلال (الإسرائيلي) ٦٦

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

أحداث السودان الدامية: البرهان - حميدتي... خيانة ما بعدها خيانة

إن الصراع على الحكم في السودان ليس حديثًا، وما يجري اليوم من صراع دموي لا يرحم إنما هو بترتيب أمريكي لكل من قائد الجيش عبدالفتاح البرهان ومحمد حمدان دقلو "حميدتي" قائد قوات الدعم السريع لكي لا ينتقل الحكم إلى (المكون المدني) المرتبط بالإنجليز والأوروبيين. فأمريكا بدت أنها تديره أكثر مما هي تستنكره، وهي اختارت لهذه المهمة القذرة قرنين أسوئين لا غَيرةَ لهما على أهلهما متعطشين للسلطة، ذوَيْ سجل دموي صادم، وهما بحكم موقعهما يمسكان بقوى البلد العسكرية، ومعنى هذا أن صراعهما سيدمر البلد... والمعهود على أمريكا تخطيطها الفائق الأجرام بحق المسلمين في كل بلادهم، والذي لا يبقي بشرًا على بشر ولا حجرًا على حجر... والآن جاء دور السودان الطيب بأهله، الغنيِّ بموارده، الفقيرِ في معيشته، المبليِّ بحكامه، مثله مثل سائر بلاد المسلمين...

عم، اندلعت الأحداث الدامية هذه في شهر رمضان الذي يعرف المسلمون أنه شهر الفتوحات والانتصارات، وليس شهر القتال الحرام،... اندلعت من غير احترام لحرمته، وبدأ مسلسل تدمير السودان بيديهما القذرتين، وقد توقَّع مسؤولون أمريكيون أن هذه الأحداث الدامية ستطول، وهذا يعني أن مخططهم قد رسم لتطول، وما تصريح بلينكن من أنه صراع داخلي إلا من قبيل التدخل السرطاني الذي عملوا ويعملون في الكواليس على استفحاله، وما التركيز على عملية الإجلاء الواسعة لرعايا الدول الأجنبية والعربية إلا إشارة واضحة إلى أن هناك مسلسلًا مأساويًّا طويلًا بدأت فصوله للتوِّ مع هذين الرجلين اللذين يبدوان أنهما لا يحملان فضيلة واحدة... وإننا إذا نظرنا إلى أن لدى كلٍّ من هذين الرجلين شهوة جامحة للوصول إلى الحكم، فإن هذا يفتح باب التحليل على فكرة تقسيم السودان كأمر واقع بعد هذا الصراع الدموي الذي لن يستطيع أحد منهما أن يحسمه، بحسب الخطة الأمريكية؛ وبهذا تقسم أمريكا السودان إلى منطقتي صراع، وتحعل على كل واحدة منها أحد أميري الحرب هذين، وبهذه الخطة يبدو أنه لن يبقى هناك (مكون مدني) سابق تابع للإنجليز ولأوروبا منافس لها على الحكم.

لقد بات مألوفًا على المشهد السياسي والعسكري في مثل هذه الصراعات الداخلية أن أمريكا تعمل في الخفاء على التآمر على الشعوب عبر وضعاء وضعهم في مراكز القوى في هذا البلد، ثم يهيئ ساحة البلد للكباش والصراع بينهم، وهؤلاء الوضعاء يهيئ لهم عملاؤه الإقليميون من حكام المسلمين الآخرين لكي يمدُّوهم في الغيِّ ولا يُقصرون؛ وعليه فإن ما يحدث من مآسٍ إن هو إلا بتدبير وتخطيط خارجي، ومساعدة إقليمية وتنفيذ محلي داخلي... فقد بدأت المعارك وبدأ معها تركيب المشهد المأساوي الذي تقوم معه وسائل الإعلام المحلية والفضائيات الإقليمية والدولية بإظهاره: إحصاء الضحايا والخسائر وتصوير مشاهد القتل والخراب والدمار والتعليق عليه، والتركيز على الحالات الإنسانية من نزوح وإيصال المواد الإغاثية والخطورة التي تكتنفها ومحاصرة المدنيين، ونقل أخبار الاشتباكات العسكرية واحتلال المراكز الرسمية والعسكرية

المتبادلة، ونقل التصريحات والاتهامات المتبادلة بين هذين القرنين، وتقديم التحليلات التي تجيِّش صدور المقاتلين وتجعل الناس منفعلين غير فاعلين، يميلون إلى هذا الطرف أو ذاك للوصول في النهاية إلى تفكيك وتدمير البلد سياسيًا وعسكريًّا...

أما ما هو مرفوض أن يكون مألوفًا فهو أن نرى الناس يأخذون موقع الضحية ولا ينشغلون إلا بكيف سيؤمنون أنفسهم وحياتهم وعائلاتهم وبيوتهم وأرزاقهم... بينما عليهم أن تكون لهم كلمتهم فيما يحدث، عليهم أن يقفوا في وجه هذه المؤامرة بقوة، وأن يعلنوا أن المتخاصمين هم عملاء وأصحاب مصالح خاصة وأنهم يلفظونهم، وأن هؤلاء لا يمثلونهم... وهنا يأتي الكلام على أن يكون لدى الناس أحزاب سياسية إسلامية مخلصة وواعية تعبر عن تطلعات أهل السودان المسلمين الطيبين، لا أحزاب علمانية تابعة عميلة منقطعة الصلة مع الناس... إن الغرب الكافر يكره أن يكون للناس توجه نحو تحكيم دينهم في حياتهم؛ لهذا أوجد لهم أحزابًا سياسية علمانية لا ظلَّ لها، منتفشة ليس لها وزن ولا تمثيل، أخذت دورها من السفارات التي أنشأتها ومن وسائل الإعلام التي روجت لها... نعم على الناس أن يشكلوا ضغطًا فاعلًا يضع حدًّا لهذا الصراع، هذا على الأقل... أما المطلوب شرعًا فهو أن تكون للناس كلمتهم في التغيير، بإسقاط هذه الأنظمة الحاكمة وإقامة حكم الله بدلها، وهذا وحده من سينقذ المسلمين في الدنيا والآخرة.

كذلك، فإن ما هو مرفوض أن يكون مألوفًا أن يكون أفراد الجيش السوداني، ضباطًا وأفرادًا، مشاركين في هذا الصراع من غير أن يكون لهم فيه ناقة ولا جمل... فلا يجوز لمن كان من قبل مع قوات الرد السريع أن ينخرط معهم في القتال على أهداف حميدتي، ولا لمن كان من قبل مع قوات الجيش أن يقاتل على أهداف البرهان... فهذا لا يجوز، وحرام على المسلمين أن تلتقي سيوفهم على بعضهم فالقاتل والمقتول في النار، ولا يعذر أحدهما أمام الله بشيء، فعن أبي بكرة قالَ سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: «**إذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بسَيْفَيْهِما فَالقَاتِلُ والمَقْتُولُ في النَّارِ، فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، هذا القَاتِلُ فَما بَالُ المَقْتُولِ؟ قالَ: إنَّه كانَ حَرِيصًا علَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**»... فعلى كل واحد من هؤلاء أن يكون من أنصار دينهم لا من أنصار البرهان ولا حميدتي، وإلا كانوا معهم في النار، قال تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَـٰطِـِٔينَ).

إن هذا الصراع الدموي يبدو أنه مخطط له أن ينتهي بانقسام البلد، وأن يخلع كل من البرهان وحميدتي لباس العسكر ويلبس اللباس المدني، ويمسك بزمام الحكم... وهكذا تصل أمريكا ودول الغرب، عبر العملاء والأذناب والخونة والعلمانيين إلى الحكم.

أيها المسلمون في السودان، إن لله عليكم، وعلى سائر الشعوب الإسلامية، حقًّا، وهو أن تقوم حياتكم على أمر الله، وأن تتحاكموا لما أنزل الله، وأن تنصبوا حاكمًا عليكم يحكمكم بما أنزل الله، وأن تعيشوا بهذا وأن تموتوا عليه وفي سبيله. وما يحدث لكم، ولسائر المسلمين في بلادهم، والتي يجب أن تكون بلدًا واحدًا، من سلب إرادتكم وجعلكم فريسة أطماع الغرب، وضحايا مخططاتهم... عليكم أن تعلنوا رفضكم له ولما فرض عليكم من قيادات عسكرية خائنة مجرمة

باعت دينها لأسيادها مقابل لعاعة من دنيا لا تساوي شيئًا... وكذلك عليكم أن تعلنوا رفضكم لما فرض عليكم من جماعات سياسية علمانية وإعلان أنها لا تمثلكم في شيء، وأن الذي يمثلكم هو من يحمل مشروع الخلاص الوحيد لكم، مشروع الأمة الواحدة، في ظل دولة الخلافة التي تحفظ عليكم دينكم، وتؤمن لكم معيشتكم وأمنكم، وتفتح أمامكم باب نشر الإسلام إلى العالم كله، هذا ما يرضي الله وهذا ما خلقكم لأجله... فقوموا وعبروا عن هذا الأمر رافضين كل ما يحدث، وتوقفوا عن مجرد قبولكم أن تكونوا ضحايا... وأعلنوا براءتكم من هذين القرنين الأسوئين، بل وحمِّلوهما مسؤولية كل قتل وترويع وتدمير وخراب يصيبكم ويصيب دياركم...

أما أنتم أيها الضباط والجنود في الجيش السوداني، فأنتم الآن مربط الفرس التي يجب أن تكون بيد فارسها من أجل نصرة دين الله... فأنتم أيها الضباط والجنود، سواء أكانت خدمتكم في الجيش أم في قوات الرد السريع، مسلمون قبل كل شيء، والمطلوب منكم ابتداء تجاه هذه الأحداث الدامية أن لا تكونوا أدوات قتل بيد المجرمين من المتصارعين ولا بيد الكافرين من دول الغرب، وأن لا تقوموا بتخريب دياركم على أيديكم، أن لا تقتلوا أهاليكم ولا تدمروا بلادكم بأنفسكم... عليكم أن تقفوا من أول لحظة في وجه القتال وتهدِّدوا القائمين عليه وتنزعوا الشرعية منهم ولا تنصاعوا لأوامرهم... عليكم من قبل هذه الأحداث وخلالها، وبعدها أن يجرَّكم إيمانكم إلى نصرة دين الله وحده، فهذا واجب شرعي عليكم... عليكم أن تكونوا القوة التي توصل الإسلام إلى الحكم؛ لتنتهوا نهائيًّا من مثل هذه الأوضاع الأكثر من مأساوية.

أيها الضباط والجنود المسلمون، كونوا أنصارًا لله لا لغيره، واعلموا أن الله سائلكم يوم القيامة عما تقومون به، فهل تقبلون أن تحشروا مع البرهان أو حميدتي كما يحشر جنود فرعون وهامان مع فرعون يوم القيامة؟هل يجوز أن تنفذوا أوامر رؤسائكم في قتل أهاليكم وتدمير أرزاقكم، وتمكين أمريكا من الوصول إلى استلام الحكم في السودان عبر أحد هذين القرنين؟ هل يجوز أن تكون (إسرائيل) هي المستعان بها للوساطة في هذه الأحداث المؤلمة؟ ألا يفكر الواحد منكم بمدى دناوة كل من هذين القرنين المتصارعين حين تكون لهما علاقة بـ(إسرائيل) أو حين يبدؤون قتالهم المصلحي في شهر رمضان... إن مئات القتلى وآلاف الجرحى وعشرات آلاف النازجين والمشردين، والأعداد قابلة للمضاعفة، هم في رقبة البرهان وحميدتي يوم القيامة، فهل تقبلون أن تكونوا مسؤولين عنها أمام الله كذلك؟!.

أيها الضباط والجنود المسلمون، هلموا إلى نصرة دينكم، واستجيبوا لنداء ربكم لكم بقوله تبارك وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾■

بسم الله الرحمن الرحيم

النظام العالمي هو ضد الإسلام والمسلمين، ومسار التنمية الباكستاني يكمن في العودة إلى الإسلام وإقامة دولة الخلافة

المهندس معز من باكستان

تتصارع الدوائر الاستراتيجية والسياسية الباكستانية مع انهيار الاقتصاد وتداعياته على الدولة والمجتمع، وهناك شبه إجماع على أن باكستان بحاجة إلى تجربة شيء جديد ومختلف، إلا أن هناك ندرة في الأفكار الجديدة؛ ولكن أجواء الأزمة والذعر المحيطة بها أفسح المجال أمام النخبة الباكستانية ذات الطابع الغربي لتقديم أجندتها، وهي قناعة بأن باكستان بحاجة إلى محاكاة تجربة التنمية الغربية وتبنّي مسار التنمية على النحو المنصوص عليه من قبل صانعي السياسة والأكاديميين الغربيين، وتعتقد هذه النخبة الغربية أن باكستان لم تقطع شوطًا كافيًا في مسار الإصلاح الذي تطالب به المؤسسات الدولية، سواء بتحرير الاقتصاد أو إعادة تصوّر البناء الاجتماعي لباكستان وإعادة تحديد دورها الدولي وعلاقاتها الدولية.

إن أحد الجوانب المثيرة للاهتمام في هذا المسار الجديد وجدول أجندة الإصلاح يتعلق بالفائزين والخاسرين في التنافس بين الهند وباكستان، حيث انتصرت الهند وخسرت باكستان، وبالتالي فإن هذه الخسارة يجب أن تحفز باكستان على إعادة النظر والتفكير في سياساتها ومسارها التنموي. إنّ الدعوة الواضحة لهذا الفصيل النخبوي هي بأن تخضع باكستان للوقائع الجديدة، وتتخلى عن موقفها الأيديولوجي بشأن كشمير، وتعيد النظر في علاقتها بأفغانستان، وتتخلى عن طموحها في التنافس مع الهند وتشرع في تشييد علاقة تعاون معها مبنية على التجارة والترابط الاقتصادي، وتقوّي تحالفها مع الولايات المتحدة... ويرى الفصيل أنه يجب على باكستان إعادة تعريف نفسها وتجعل من نفسها «ذات صلة» بالمجتمع الدولي وخاصة الدول الغربية القوية، لتحصل بالتالي على قبول على المستوى الدولي، مما سيسمح بعد ذلك بتدفق المكاسب الاقتصادية لباكستان، وهذا يتطلب التراجع عن معاداة أمريكا والتخلي عن هويتنا الإسلامية وتبنّي الحداثة القانونية والتقدم الاجتماعي... وبالتالي تغيير البنية الاجتماعية والقيمية للمجتمع. باختصار، فإن ما يعيق باكستان في نظرهم هو هويتها وأيديولوجيتها وثقافتها التي لا تتوافق مع النظام الدولي والعالم الحديث الذي صاغته القوى الغربية.

غالبًا ما يتم طرح فكرة إعادة تشكيل المجتمع والدولة وهويتها بشكل جذري في المناقشات بشكل مبسّط وعرضي، وفي كثير من الأحيان لا يفهم مؤيدو الفكرة كيف تتشكّل المجتمعات والدول حقًا وكيف تعمل الهويات الوطنية، فعملية إعادة تصور مجتمع ودولة لا تنفصل أبدًا عن الميول والقناعات الأيديولوجية للقائم بإعادة التشكيل. مقولة إن باكستان قد خسرت لصالح الهند وهذا ينبغي أن يحفّز المجتمع للعمل على فعل شيء مختلف، من ناحية ينم عن تحيز وقناعة بأن باكستان والهند واقعتان في منافسة دائمة، وهذا يعني أن كلا البلدين يعتبران حجم احتياطيات النقد الأجنبي وعدد المليارديرات والشركات الكبرى وعدد وقوة الجيوش والنفوذ الجيوسياسي... معطيات لقياس تقدمهما، ويُقاس تقدّم باكستان مقابل تقدم الهند، وليس مقابل تقدم اليابان أو ألمانيا أو بولندا... ومن المفارقات أن الدعوة إلى نبذ عدائنا التاريخي تجاه الهند يصاحبه التمسك بالتنافس التاريخي مع الهند وتوجيهه نحو غايات اقتصادية مختلفة، بينما ليس من السهل التخلص من التاريخ. هذا ينقلنا إلى مستوى آخر من الطرح، وهو سوء فهم كيفية بناء المجتمعات والأمم وتنظيمها، وهو قلب المشكلة. يتم تعريف الهويات الوطنية من خلال التجارب السياسية العضوية المتجذرة في المعتقدات الثقافية والأفكار التأسيسية التي تربط الناس ببعضهم البعض، وقد أُسس كيان باكستان حول فكرة أن مسلمي شبه القارة الهندية سيفقدون هويتهم الثقافية والحضارية في شبه القارة المتحدة، وأن كونفدرالية علمانية مع حماية دستورية للمسلمين مع الدفاع والشؤون الخارجية والاتصالات تُدار بشكل مشترك من قبل المسلمين والهندوس لا يتوافق مع التطلعات السياسية للمسلمين الذين يسعون لبناء مجتمع قائم على أحكام مستنبطة من القرآن والسنة. بالتالي، فإن المحرك السياسي وراء إنشاء باكستان لم يكن مدفوعًا باعتبارات اقتصادية، ولكن كان لديه دافع أكثر جوهرية، هويتنا كشعب ومجتمع. ركّزت فكرة المطالبة بتقسيم شبه القارة الهندية إلى الدول ذات الأغلبية المسلمة والدول ذات الأغلبية الهندوسية على الهوية الدينية ومعتقدات السكان الهنود، المسلمون هم المؤمنون بالتوحيد، والهندوس هم المشركون، وبالتالي لا يمكن للمسلمين أن يخضعوا لسلطة الهندوس، وهذه هي الفكرة نفسها التي ألهمت وحفّزت مسلمي كشمير الذين تحدّوا وكافحوا الحكم الهندوسي لأكثر من سبعة عقود. إن كشمير المحتلة هي واحدة من أكثر المناطق عسكرة في العالم، وهي ليست شهادة على نجاح الدولة الهندية، بل دليل على أن المجتمعات والدول لا يتم إعادة تشكيلها على أساس الوقائع الجديدة والشعور بالهزيمة، بل تُبنى المجتمعات والدول وتُعاد هيكلتها على أساس المعتقدات الأيديولوجية والطموحات الحضارية لمن عندهم تصور للعالم الذي يريدون إيجاده ويسعون جاهدين

لجعله حقيقة واقعة مهما كان الثمن.

إن صعود الهند ليس بجهودها، فلأكثر من أربعة عقود، كانت الهند على هامش النظام الدولي، وحافظت على بعدها عن منافسة القوى العظمى التي تشكّل الساحة الدولية، ومن خلال ادّعاء الحياد استبعدت الهند نفسها عن النظام الدولي الذي أنشأته أمريكا ونظامها من الحوافز والمثبطات الجيوسياسية. يرتبط صعود الهند بالمخاوف الأمريكية بشأن النمو الاقتصادي الهائل في الصين الذي قرع أجراس الإنذار في السياسة الخارجية الأمريكية ومؤسسات الدفاع، وكان الانفتاح على الصين، الذي تصوره (هنري كيسنجر) لتقسيم المعسكر الشيوعي واحتواء الاتحاد السوفياتي، يعود لعقلية صانعي السياسة الأمريكيين. لقد سهّلت أمريكا الاندماج الصيني في النظام الدولي لاستباق التحالف الشيوعي بين الصين والاتحاد السوفياتي، من خلال تحويل الصين إلى مصنع للعالم الغربي، واستخدامها كسوق ضخم للطموحات العالمية وللشركات الأمريكية متعددة الجنسيات. الآن وبعد أن أصبحت الصين قوة اقتصادية وتستخدم قوتها الاقتصادية لبناء قدراتها الدفاعية وتأكيد نفسها كقوة سلمية في بحر الصين الشرقي وبحر الصين الجنوبي؛ تخشى أمريكا من صعود الصين الجيوسياسي وتعمل على بناء الهند واليابان كقوة موازية للصين. بالتالي فليس من المستغرب أن تكون كلًّا من الهند واليابان جزءًا من تحالف رباعي بنته أمريكا، والذي يضم أيضًا أستراليا. بدأت أمريكا في دمج الهند في النظام الدولي تحت قيادة (مانموهان سينغ) كحافز لإقناع الهند بقبول الأجندة الجيوسياسية الأمريكية، تمامًا مثلما كانت باكستان تغرق بالمساعدات والقروض الأمريكية في عصر (أيوب خان) لإيقاع باكستان في براثن المعسكر الأمريكي. في ظل حكم مودي، أبدت الهند استعدادها لتقديم العطاءات الأمريكية، وأن تكون أداة في رقعة الشطرنج الأمريكية ضد الصين، ومثلما تم استخدام الصين كأداة لتحقيق الأجندة الجيوسياسية الأمريكية ضد الاتحاد السوفياتي، حلّت الهند الآن محل الصين كأداة جيوسياسية ضد الصين نفسها لتحقيق الأهداف الجيوسياسية الأمريكية، وهذه هي حقيقة نهوض الهند، ولا يرجع ذلك إلى مرونة النظام السياسي في الهند، ولا بسبب براعة النخبة السياسية والحاكمة، أو قوة مؤسساتها التعليمية، بل إنّ صعود الهند هو ريع جيوسياسي، وحافز ومكافأة على استعداد الهند لتنفيذ السياسة الأمريكية في منطقة المحيطين الهندي والهادئ.

لقد تم تمكين صعود الهند بشكل مباشر من قبل المؤسسة العسكرية الباكستانية. الخطأ الاستراتيجي المتمثل في الوقوف إلى جانب أمريكا في حربها على «الإرهاب» وإعادة هيكلة الجيش وإعادة تنظيم العقيدة والقدرات العسكرية والأمنية لباكستان وتركيزها بعيدًا عن الهند، نحو تطوير قدرات مكافحة «الإرهاب» وبدء محادثات السلام

واعتماد أجندة التطبيع مع الهند، والتخلي عن كشمير، وقمع البنية التحتية الجهادية المتمركزة في الهند، ووقف إطلاق النار على خط السيطرة، كل ما سبق أدّى إلى خلق مساحة للهند للابتعاد عن تركيزها الاستراتيجي على باكستان إلى الأجندة الأمريكية الأوسع للمنطقة؛ لذلك كان «انتصار» الهند اليوم هو بسبب القرارات الكارثية التي اتخذها حكام باكستان لاتباع الإملاءات الأمريكية في جنوب آسيا وفي أفغانستان، لقد فازت الهند لأننا ساعدناها في طريقها إلى «النصر»، لكن بدلًا من الاحتفال بهذا الانتصار من خلال الاستسلام للواقع، الخيار الأكثر حكمة هو التوقف عن مساعدة الهند والبدء فعليًا في التنافس معها في العالم الحقيقي.

يكمن جوهر المشاكل الاقتصادية والسياسية والعسكرية في باكستان في التنمية المعيبة ونموذج التقدم الذي تتبنّاه النخبة الحاكمة في باكستان، فمنذ نشأتها، عانت باكستان من ارتباط تطورها وتكاملها مع النظام الدولي الذي بنته أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية، سواء أكان ذلك بتنافس باكستان مع الهند، أم هيكلة اقتصادها، أم تطوير قدراتها العسكرية وتحقيق طموحاتها الإقليمية، فإن حكام باكستان لم يتخيلوا أبدًا أنهم يستطيعون دفع باكستان إلى الأمام في أي من هذه المجالات دون مساعدة من أمريكا أو من القوى الأوروبية. لقد تم تصميم نظام الري والسدود في باكستان والسياسة الزراعية بأكملها من قبل الأمريكيين مقابل قيام باكستان بتوفير قواعد المراقبة لأمريكا ضد الاتحاد السوفياتي، وساعدت باكستان أمريكا في خوض الحرب الأفغانية ضد الاتحاد السوفياتي مقابل الدعم الاقتصادي والموارد المالية التي ساعدت باكستان على بناء قدراتها العسكرية ضد الهند، وعندما أعلنت الهند الحياد وكانت جزءًا من حركة عدم الانحياز ورفضت الاندماج في النظام الدولي الأمريكي، ألقت أمريكا نظرها في الاتجاه الآخر، حيث قامت باكستان ببناء برنامج أسلحتها النووية ردًّا على برنامج الهند النووي، وقد اعتبرت أمريكا برنامج الأسلحة النووية الباكستاني بمثابة عصا لترغم الهند على الاستسلام، واختارت باكستان عدم معارضة الأولى، وعندما شنّت أمريكا حربها على الإسلام بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر، قبلت باكستان الضمانات الأمريكية بعدم معاداة الهند، وأعادت تشكيل عقيدتها العسكرية وتوجيهها تجاه مكافحة «الإرهاب»، مما أدى إلى إحداث تغييرات في الكتاب الأخضر للجيش الباكستاني ونحي اعتبار الهند التهديد الأول لباكستان. قبلت باكستان الضغط الأمريكي على كشمير، ورفضت تحدي الهند عسكريًا عندما ضمّ مودي كشمير المحتلة في أغسطس من عام ٢٠١٩م، وتم قبول ضغط فرقة العمل المعنية بالإجراءات المالية لتفكيك البنية التحتية الجهادية المتمركزة في الهند. تم تصميم سياسة الطاقة الباكستانية من قبل البنك الدولي، مما أدى إلى تراكم ديون دائرية

ضخمة في قطاع الطاقة، فشرعت باكستان بتفعيل برامج إصلاح متكررة من صندوق النقد الدولي لإعادة هيكلة الاقتصاد الباكستاني وفقًا للإملاءات الغربية فقط، لينتهي بها الأمر في أزمة أخرى تتطلب المزيد من الدعم من أمريكا ومؤسساتها متعددة الأطراف. حتى اليوم، فإن الإجماع الحاصل بين النخبة الحاكمة في باكستان والمثقفين الغربيين هو أن باكستان ليس لديها خيار سوى القبول ببرنامج إصلاح صندوق النقد الدولي لمواصلة مسارها التنموي، وحتى عندما شرعت باكستان في مسار التنمية الذي كان من المفترض أن يكون مستقلًا عن أمريكا، فقد ذهبت إلى الصين لجذب الاستثمارات في البنية التحتية والنقل، وهي استثمارات أثبتت أنها وصفات مرهقة تزيد من عبء الاقتصاد الباكستاني الضعيف، مما دفع باكستان إلى حافة الإفلاس.

إن فشل النخبة الحاكمة في باكستان في تخيل مسار مستقل لتقدم باكستان وتنميتها يكمن جزئيًّا في الماضي الاستعماري لباكستان، فقد ورثت باكستانُ الدولةَ والمؤسساتِ الاستعمارية الحاكمة التي خلفها البريطانيون بعد عهد الحكم البريطاني، بعد أن أوجد البريطانيون جوًّا سياسيًّا وفكريًا ربط تطور شبه القارة الهندية وتقدمها بمحاكاة التجربة السياسية والفكرية للغرب، وقد بنت أمريكا على هذا الإرث الاستعماري وحاصرت باكستان في فخ الانصياع لنظامها الدولي.

إنه من المؤكد أنه لا يوجد شيء في جعبة النظام العالمي والبنية التحتية المالية والاقتصادية والسياسية والعسكرية الدولية التي تحكم العالم اليوم من حيث توزيع السلطة داخل هذا النظام؛ وهذا النظام تسيطر عليه أمريكا وحدها مستبعدة كل القوى الأخرى. لقد أنشأت أمريكا مؤسسةَ النقد الدولية في (بريتون وودز) لفرض الدولار الأمريكي على التجارة الدولية، وأزمة ميزان المدفوعات في باكستان هي النتيجة المباشرة لمشاركة باكستان في هذا النظام، واختارت باكستان وكل العالم الإسلامي -عن طيب خاطر- إجراء التجارة الدولية بالدولار، وتم إعداد صندوق النقد الدولي ليكون بمثابة الملاذ الأخير للبلدان التي تعاني من نقص في الدولارات، ومن المثير للاهتمام أن باكستان وأمريكا على حد سواء على شفا التخلف عن السداد، وبينما تُجبر باكستان على قبول الشروط القاسية لبرنامج صندوق النقد الدولي مقابل الدولارات التي أوصلت بالفعل إلى طريق مسدود في الاقتصاد وتسبَّبت في تضخم في المأساة الاقتصادية ومعاناة الشعب. تنتظر أمريكا قرارًا من (الكونجرس) لرفع سقف ديونها، لأن أمريكا تتمتع بمكانة فريدة من نوعها لإصدار الدولارات من خلال بنكها المركزي (الاحتياطي الفيدرالي)، وبينما يتعين على باكستان والعالم الإسلامي كسب الدولارات لتكون قادرة على المشاركة في التجارة الدولية، فإن أمريكا تطبعها أو تصدرها حسب حاجتها من خلال النظام المالي المعقد

الذي أنشأته، وتأسس البنك الدولي للسيطرة على مسار التنمية في البلدان التي يتم فيها توفير تمويل المشاريع للبلدان المتلقية من خلال المساعدات والقروض للمشاريع التي تتوافق مع المصالح الغربية ومصالح الشركات الغربية متعددة الجنسيات، وقضية منجم (ريكو ديق) للنحاس والذهب سيئة السمعة، حيث فرضت محكمة التحكيم الدولية التابعة للبنك الدولي على باكستان غرامةً قدرها ١١ مليار دولار لمنح عقد التعدين لشركة (باريك جولد) هي مجرد مثال واحد على التصاميم المهيمنة والاستعمارية لهذه المؤسسات الدولية؛ ومن خلال التهديد بالحذف من نظام (سوفت)، ومنع الوصول إلى أسواق رأس المال العالمية، وممرات الشحن الدولية، والخدمات، وما إلى ذلك، تفرض أمريكا عقوباتٍ على الدول التي لا تتبع سياستها، وبالتالي إخضاعها للأجندة الأمريكية.

هكذا، فإن النظام الدولي خاضع كليًا للسيطرة الأمريكية، وأمريكا هي التي تختار الرابحين والخاسرين في هذا النظام، وقد سمحت أمريكا لليابان وألمانيا بالاستفادة من هذا النظام بشرط أن يتم نزع سلاحهما بعد هزيمتهما في الحرب العالمية الثانية. الآن من خلال التهديد بالحرب في مضيق تايوان والحرب الأوكرانية الروسية في أوروبا الوسطى، أجبرت أمريكا كلًا من اليابان وألمانيا على زيادة ميزانياتهما الدفاعية واعتماد موقف أكثر عدائية تجاه الصين وروسيا خدمة للأهداف الجيوسياسية الأمريكية. لقد كانت الصين ذات مرة في الجانب المفضل لهذا النظام الدولي وهي الآن على الجانب المتلقي، وكانت الهند ذات يوم منبوذة من قبل النظام لكنها تتمتع الآن ببركاته، والنخب الحاكمة في باكستان مستعدة لجعل باكستان دولة عميلة تدور في فلك النفوذ الأمريكي مقابل نفس القدر من الامتيازات الممنوحة للهند من قبل النظام الدولي، وفي الواقع، لقد ردوا هذه القضية مرارًا وتكرارًا إلى أمريكا لمثل هذه المعاملة، وعرضوا قوتهم ومواردهم في خدمة المصالح الجيوسياسية الأمريكية، وهذا ينم عن سذاجة في الدوائر الاستراتيجية الباكستانية. على الرغم من الفكرة القائلة بأن الدولة العميلة لا تخرج أبدًا عن أجندة الدولة التي تدين لها بالفضل، فقد أعمى التلقين الغربي النخب الحاكمة في باكستان عن حقيقة أن أمريكا لن تسمح أبدًا لدولة مسلمة باكتساب القوة والسلطة في هذا النظام بسبب العداء الأيديولوجي العميق الذي تحمله ضد الإسلام وخوفها من القوة الحضارية للفكر الإسلامي؛ ولغاية ما قبل مائة عام وقبل الحرب العالمية الأولى، كانت بلاد المسلمين تحكمها دولة الخلافة التي كانت لاعبًا قويًا على الساحة الدولية حتى منتصف القرن الثامن عشر، وعلاوة على ذلك، فإن مشروع الاستعمار الغربي الذي بدأ في القرن الخامس عشر، كان قادرًا على السيطرة على الكثير من أجزاء العالم (بما في ذلك أفريقيا والقارة الأمريكية)، إلا أن البلاد الإسلامية والحضارة

الإسلامية وقفت كأشرس عقبة أمام الاستعمار الغربي، وأخيرًا تحت الاستعمار الأوروبي ثم الأمريكي، كانت أول تجربة لعموم أوروبا أو عموم الغرب، حيث تضافرت فكرة الحضارة الغربية الموحّدة كمشروع سياسي، الحروب الصليبية المسيحية ضد دولة الخلافة. هكذا فإن الوحدة التكوينية والمحددة للحضارة الغربية التي بدأت في تشكيل نفسها والنظر إلى نفسها، كانت ضد المسلمين ودولة الخلافة، واستمر هذا العداء العاطفي المتجذر بعمق في التقاليد السياسية المسيحية، وفي كونه جزءًا من الحضارة الغربية حتى بعد تبنّي الأيديولوجية العلمانية في القرنين السابع عشر والثامن عشر من قبل مختلف الدول الغربية؛ وينظر الغرب حتى اليوم إلى العالم الإسلامي من منظور الصدام الحضاري بين الإسلام والغرب، وإصراره على حماية الكفر ضد المقدسات الإسلامية باسم حرية التعبير، والدفع الغربي الأخير لإجبار العالم الإسلامي على قبول فعل الشذوذ الجنسي الحقير، لهو دليل على هذا الصدام الحضاري.

إن السبيل الوحيد للمضي قُدمًا لباكستان والعالم الإسلامي هو الخروج من هذا النظام الدولي الذي تسيطر عليه أمريكا ورسم طريقها الخاص والمستقل للتقدم والتنمية على أساس الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية. إنّ رفض العالم الإسلامي الخضوع للهيمنة الأمريكية في العراق وأفغانستان له جذور تاريخية عميقة، فقد حكمت الأمة الإسلامية العالم في ظل دولة الخلافة، وسيطرت على الساحة الدولية عندما طبق الإسلام في بلاد المسلمين وعندما حملت رسالة الإسلام من خلال الجهاد إلى بقية العالم؛ وقد رفضت الأمة المسلمة الاستسلام للواقع على مدار قرون من الزمن، وقد استولت على الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية في وقت واحد، ودمرت الإمبراطورية الرومانية بغزو القسطنطينية، وحررت فلسطين من السيطرة المسيحية بعد خسارتها أمام العالم المسيحي لمدة ٩٠ عامًا، وقاتلت الاستعمار الأوروبي، وهي منخرطة في صراع شرس من أجل الحصول عليها. التخلص من الهيمنة الأمريكية يكمن في إعادة الإسلام إلى الحكم والسلطان، إن أمة مسلمة موحدة، تضم باكستان وأفغانستان وآسيا الوسطى والشرق الأوسط والبلاد الإسلامية في الشرق الأقصى وأفريقيا تحت سلطة خليفة واحدة ستكون غنية بالموارد، وستكون دولة قوية تستعيد من خلالها مكانتها العالمية باعتبارها خير أمة أخرجت للناس.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾■

بسم الله الرحمن الرحيم

مستقبل حكومة يهود... بين الضغط الداخلي والخارجي

حمد طبيب - بيت المقدس

بعد تشكيل حكومة يهود، وتجاوزها الأغلبية الدستورية في الكنيست، وحيازتها على ٦٣ مقعدًا من أصل ١٢٠؛ ذكرت وسائل الإعلام أن هذه الحكومة ضمت ائتلافًا مع حزبين دينيين متشدِّدين، وثلاثة أحزاب يمينية متطرفة؛ فازت معًا بـ١٤ مقعدًا في الانتخابات. فقادة الأحزاب بتسلئيل سموتريتش (حزب الصهيونية الدينية)، وإيتمار بن غفير (حزب عوتسما يهوديت/القوة اليهودية)، وآفي ماعوز (حزب نوعام)؛ دخلوا في تشكيلة ائتلاف الحكومة. وقد حصل حزب الليكود على ١٥ حقيبة وزارية، ضمنها وزارات الأمن والخارجية والتعليم، في حين حصلت حركة شاس الدينية الحريدية - كما تُسمى - على ٥ وزارات، حيث سيتولى زعيمها الحاخام آرئيه درعي، وزارتي الداخلية والصحة. في المقابل حصلت حركة المنعة اليهودية المتطرفة - كما يسمُّونها ويطلقون عليها - على ٣ حقائب وزارية، على رأسها وزارة الأمن التي سيشغلها زعيمها إيتمار بن غفير، في حين حصلت حركة الصهيونية الدينية على ٣ حقائب، أهمها وزارة المالية التي سيشغلها زعيمها بتسلئيل سموتريش.

وقد جرت كذلك تعديلات على بعض القوانين داخل كيان يهود، وإضافة صلاحيات جديدة لبعض الوزراء؛ ما أثار ضجةً كبرى في الشارع اليهودي ولدى الجيش، منها ما ذكرته إذاعة الجيش في ٢٠٢٣/١٢/٢٩م: الاتفاق الائتلافي بين حزب الليكود، وحركة المنعة اليهودية؛ ينصُّ على إخضاع قوات حرس الحدود بشكل تام ومطلق لصلاحيات وزير الأمن الوطني بن غفير، ولفتت الإذاعة إلى أن هذا البند يتيح لبن غفير تشكيل قوة أمنية تابعة له، وتخضع لتعليماته. ومن النقاط الأخرى المثيرة للقلق عند بعض الأحزاب مشاركة حزب نوعام اليميني المتطرف؛ المعادي للمثليين والعرب في الائتلاف. ومن المتوقع أن يصبح رئيس الحزب آفي ماعوز، الذي له مقعد واحد في الكنيست، نائب وزير في مكتب رئيس الوزراء، مسؤولًا عن هيئة ما يسمونه الهوية القومية اليهودية، التي تم إنشاؤها حديثًا، وستكون لهذه الهيئة الجديدة سلطة على المحتوى الذي يتم تدريسه خارج المناهج العادية في المدارس (الإسرائيلية)، ما يمنحه السيطرة على الهيئات غير الرسمية، التي يتمُّ تكليفها بالتدريس في المدارس.

وقد جرت تصريحات عدة على ألسنة أركان ووزراء هذه الحكومة منها تصريح وزير الأمن الداخلي إيتمار بن غفير في ٢٠٢٣/١/٢٥م، الذي قال فيه: «بأنه سيواصل اقتحاماته للمسجد الأقصى، في تحدٍّ لرئيس

الوزراء بنيامين نتنياهو، الذي تعهّد لملك الأردن بالحفاظ على الوضع القائم في المسجد الأقصى بالقدس المحتلة؛ وذلك بعد منع السفير الأردني من زيارة الأقصى في ٢٠٢٣/١/١٧م». وقال بن غفير في حديث لإذاعة يهود في ٢٠٢٣/١/٢٥م: «مع كل الاحترام لملك الأردن، (إسرائيل) دولة مستقلة. صعدتُ إلى جبل الهيكل (المسجد الأقصى) وسأواصل القيام بذلك». وصرّح كذلك «بأنه سيكون صارمًا في مواجهة الإرهاب». وقال إنه يريد تخفيف قيود إطلاق النار؛ لتمكين ضباط الشرطة من إطلاق النار على المتظاهرين الذين يرمون الحجارة، وتعزيز الحصانة القانونية لقوات الأمن.

فإلى أي حدّ يمكن لهذه الحكومة المضيّ قدمًا بسبب الضغوطات الداخلية والخارجية؟ وهل يستمرّ هذا التلوّن السياسي؛ بين إرضاء الداخل اليميني والخارج الدولي؟ وقبل الإجابة عن هذا السؤال نقول:

أولًا: إن الناظر لطبيعة تشكيلة حكومة يهود الحالية يرى أنها مزيجٌ من المتناقضات، وهي نتيجة حتمية لطبيعة القانون الذي يضبط تشكيل الحكومات في كيان يهود؛ ونتيجة كذلك لطبيعة التنافر والتناقض السياسي بين الأحزاب اليهودية؛ ما بين أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. ففي قانون يهود ينتخب رئيس الوزراء من خلال القائمة القادرة على تجاوز نسبة الحسم ٣,٢٥٪ أولًا، وأخذ أكبر عدد من المقاعد، وتخطّي النصف من مقاعد الكنيست البالغة ١٢٠ مقعدًا، ولا يُنتخب الرئيس بشكل مباشر كما هو في كثير من الدول التي تُسمي نفسها ديمقراطية. وهذا بالتالي يجعل رئيس وزراء يهود وهو أعلى قرار سياسي في كيانهم رهين التشكيلة الحكومية، وبالتالي رهين الأحزاب المشكِّلة لهذه الحكومة. فنزول هذه النسبة بصوت واحد عن الحد الأدنى يعني سقوط الحكومة ومعها رئيسها، وبالتالي السعي من جديد لتشكيل حكومة جديدة بانتخابات جديدة.

ثانيًا: إن كيان يهود بشكل عام في سياساته واقتصاده وأمنه هو كيان ضعيف، لا يرتقي حتى لأن يكون دولةً بالمعنى الحقيقي، فهو في الحقيقة يرتبط بالغرب خاصة أمريكا في كل مقوماته، ولولا ذلك ما استطاع البقاء يومًا واحدًا. خاصةً أنه يُحرس من تلك الأنظمة العميلة للغرب برًّا وبحرًا!

ومن خلال هذه الأمور التي ذكرناها، نجيب عن السؤال السابق: الحقيقة أن هذه الحكومة تقوم على المتناقضات السياسية، وهي أشبه ما تكون بحكومة مصلحية؛ لمواجهة القرارات القضائية ضد الحاخام درعي زعيم حركة شاس الدينية الحريدية الذي سيتولى وزارتي الداخلية والصحة، والمتهم بالتهرب من الضريبة، وأدين بهذه التهمة بالإقرار سنة ٢٠٢٢م. وضد رئيس الوزراء الحالي نتنياهو الذي يواجه تهمًا بالفساد المالي والرشاوى والاحتيال؛ خاصة مع شركة بيزك، ومع صحف

عبرية حاولت تحسين صورته مقابل رشاوى مالية. وهذا الأمر يجعل من هذه الحكومة رهينة الأحزاب الدينية المساهمة فيها، ورهينة نظرتها السياسية؛ خاصة للأراضي المحتلة في فلسطين، وللمسجد الأقصى المبارك على وجه الخصوص، ما يجعل هذه الحكومة تعيش بين حدّين لا تستطيع تجاوز أي منهما:

الحد الأول: هو الحدّ السياسي وفق الوضع الدولي الراهن خاصة انشغال أمريكا بقضايا عديدة أكثر حساسية وإلحاحًا من القضية الفلسطينية؛ على رأسها الحرب في أوكرانيا. فلا مجال عند أمريكا في الظرف الحالي للتصعيد، ولا مجال للحروب في المحيط، ولا مجال للحلول الآن؛ بسبب الانشغال الدولي بأمور أهم حسب مصلحة أمريكا. فنظرة أمريكا لقضية فلسطين الآن هو التأجيل، وليس استئناف التفاوض، ولا طرح الحلول.

والحد الثاني: هو نظرة الأحزاب اليهودية وبرامجها السياسية، وما تعاني هذه الأحزاب من ضغوط داخلية من الداعمين لها والمنتخِبين. فعلى سبيل المثال لم يستطع بن غفير تأجيل زيارته للأقصى بتاريخ ٢٠٢٣/١/٥م رغم مناشدة نتنياهو له وإلحاحه بتأجيل الزيارة. وعندما أراد أن يؤجل الزيارة شنَّت عليه الجماعات الدينية الداعمة له هجومًا كاسحًا اتهمته بالكذب والخيانة السياسية؛ ما أجبره على الزيارة الشكلية والسريعة.

وهناك أمر سياسي آخر داخلي يتعلق بالمعارضة اليسارية والجيش؛ رغم أن الجيش لا يتدخل في السياسة؛ ولكن تصريحات بن غفير المتعلقة بالجيش، ودعوته للسيطرة على الأمن الداخلي، ولإخضاع قوات حرس الحدود بشكل تام ومطلق لصلاحياته، وتمكينه من تشكيل قوة أمنية تابعة له، وتخضع لتعليماته... هذه الأمور وغيرها من تدخلات بن غفير دفعت قادة الجيش للتدخل والتهديد بعدم إطاعة الأوامر من طرف وزير الأمن الداخلي. وقد حصلت تظاهرات عدة في تل أبيب ضمت أطيافًا عدة من داخل الكيان والأحزاب وجماعات حقوقية وقانونية، عبّرت عن سخطها ومعارضتها للحكومة الحالية، وتشكيلتها وسياساتها المؤثرة على الدولة داخليًّا وخارجيًّا. وهذه الحركة هي في تنامٍ وازدياد وتهدّد بالانشقاق في مجتمع يهود بشكل عام. وقد تظاهر أكثر من ١٢٠ ألفًا في تل أبيب ليلة السبت ٢٠٢٣/١/٢٧م، وندّدوا بالقوانين الجديدة، وبالأحزاب التي لا تحترم ديمقراطية الدولة؛ خاصة ما يخص قانون المثليين وقوانين حرية المرأة.

لقد ولّد هذا الواقع الكثير من ردات الفعل الخارجية والداخلية، وأدى إلى زيادة التفسخ داخل مجتمع يهود المنقسم أصلًا. ومن ردات الفعل هذه على سبيل المثال:

١- في الجانب الدبلوماسي: فقد أعرب ما يزيد على ١٠٠ سفير ودبلوماسي متقاعد في وزارة الخارجية عن قلقهم من إمكانية أن تلحق سياسة الحكومة، التي يقودها نتنياهو،

الضرر بعلاقات تل أبيب الخارجية.

٢- قبل ساعات من أداء الحكومة الجديدة اليمين، وقع أكثر من ٣٠٠ حاخام يهودي في أمريكا على رسالة؛ تحذر من أن هذه الحكومة يمكن أن تسبِّب ضررًا لا يمكن إصلاحه لعلاقات الكيان مع اليهود في الشتات. ووصف الموقِّعون بعض سياسات الإدارة الجديدة بأنها لعنة على مبادئ الديمقراطية، واتهموا الحكومة بالتخطيط لتقويض حقوق النساء والمثليات والمثليين ومزدوجي الميول الجنسية، والعابرين جنسيًّا من يهود، وبالتخطيط لضم الضفة الغربية المحتلة وجعل محكمة يهود العليا تابعة للبرلمان.

٣- صحيفة هآرتس العبرية اليسارية وصفت الائتلاف الحكومي الجديد برئاسة نتنياهو بأنه الأكثر تطرفًا وعنصرية، ولديه رهاب المثلية، والأكثر ثيوقراطية في تاريخ كيان يهود، يمكن أن يعمق الانقسامات الداخلية أكثر، ويحدّ من حقوق الأقليات ويفاقم الصراع بين يهود والفلسطينيين بشكل أكبر.

٤- صرح وزير الخارجية الأمريكي، أنتوني بلينكن بعد تشكيلة الحكومة الجديدة بأن أمريكا ستواصل معارضة أي أعمال تقوِّض بشكل لا لبس فيه آفاق حل الدولتين، بما في ذلك، على سبيل المثال لا الحصر، التوسُّع الاستيطاني، والتحركات نحو ضم الضفة الغربية.

٥- ذكرت القناة العبرية أن نائبات عن أحزاب المعارضة في الكنيست أرسلن رسالة إلى نتنياهو، يطالبنه فيها بإلغاء بنود في الاتفاقات الحكومية تمسُّ بمكانة المرأة. وحسب القناة فإن النائبات أشرن بشكل خاص إلى بند في الاتفاق بين حزب الليكود وحركة يهدوت هتوراة الديني الحريدي، الذي ينص على وجوب الفصل بين الجنسين في الأنشطة التي تنظمها المؤسسات الرسمية، وتضمنت رسالة النائبات إشارة إلى بند في الاتفاق مع حركة شاس؛ يتيح للمحاكم التوراتية النظر في قضايا مدنية ليست على علاقة بقضايا الأحوال الشخصية، محذرات من أن قضاة المحاكم التوراتية من الحاخامات ينحون إلى إصدار أحكام متحيِّزة ضد النساء. وفي السياق هاجمت رئيسة المحكمة العليا القاضية دورون بينيش الحكومة الجديدة، مشيرةً إلى أن دولة يهود دخلت مع انطلاقها مرحلة مظلمة. وفي مقابلة أجرتها معها إذاعة الجيش أشارت بينيش إلى أن الحكومة الجديدة معادية للمرأة وتكرس عدم المساواة.

٦- اتَّهم قادة أحزاب المعارضة، على رأسها رئيس حزب المعسكر الوطني، ووزير الأمن السابق بيني غانتس، ٢٠٢٣/١/١٠م رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو بأنه يجرُّ كيان يهود إلى حرب أهلية خطيرة إذا ما تم تنفيذ خطة وزير القضاء ياريف ليفين التي تبنتها الحكومة ودعمتها أحزاب الائتلاف، وتتضمن تغييرات جذرية داخل جهاز القضاء بهدف تقويض

صلاحية المحكمة العليا، وجعل الكنيست المنبر الأخير للمصادقة على جميع القوانين والقرارات التي تعرضها الحكومة وتهدف إلى تحقيقها.

٧- زعيم حزب يوجد مستقبل يائير لبيد حذَّر من فوضى جرَّاء خطة تسعى إلى القضاء على الديمقراطية. وقال «دولة مسموح فيها بكل شيء، وتلغى فجأة جميع التوازنات والكوابح لدى السلطة هي ليست دولة ديمقراطية، بل حكومة همها الأساس هو التمسك بالحكم من دون معارضة أو منازعة، ولا حتى إجراءات تعرقل أي نشاط في غير صالح المواطنين، وهذه حرب على البيت بدأناها ولا نعرف كيف ستنتهي».

٨- هاجم رئيس وزراء يهود الأسبق إيهود باراك في ٢٠٢٣/١/٩م، وزير الأمن الداخلي إيتمار بن غفير، ورئيس الحكومة نتنياهو، متوعِّدًا بمظاهرات أوسع في كيان يهود.

وهاجم باراك بن غفير ونتنياهو وقال: «المواجهة فُرضت علينا، وسوف يتجرَّعون ذلك بشكل كبير». وقال: «بن غفير يتوعد أن الشرطة ستواجه التظاهرات ونتنياهو يدعمه، وكلاهما سيجلسان ليندما على ذلك». وأضاف: «هذا يكشف هذه الحكومة على حقيقتها؛ مرتشون، ضعفاء، واستغلاليون يستخدمون العنصرية».

٩- استمرار الاحتجاجات المتنامية في أوساط يهود، والمناداة بإسقاط الحكومة. ويقول المعارضون إن الإصلاحات المقترحة من شأنها تقويض استقلال القضاء، ودعم الفساد، كما تعدُّ انتكاسة على صعيد حقوق الأقليات، فضلًا عن تهديدها مصداقية الجهاز القضائي في كيان يهود. ورفع متظاهرون لافتات وصفت الائتلاف بأنه حكومة عار.

إن هذا الواقع السياسي الذي تعيشه حكومة يهود الحالية يضعها أمام صعوبات متعددة، داخلية وخارجية، وينذر بزيادة المعارضة تجاهها وربما تقويضها؛ خاصة في ظلّ ضغوط الأحزاب اليمينية التي تسيطر على ١٤ مقعدًا في الكنيست و١٥ حقيبة وزارية. وأمام هذا الواقع المتفاقم؛ فإما أن يقوم نتنياهو بافتعال أزمات في المحيط تخفّف الضغط الداخلي والمعارضة، وتؤجل نهاية حكومته حتى يحقق مصالحه وأهدافه. وإما أن يخضع لليمين المتشدد في توسيع المستوطنات، والسيطرة على مزيد من مناطق (ج) في الضفة، والسكوت على اقتحامات الأقصى؛ بما تولّده من انفجار الوضع الأمني في القدس وكافة مناطق فلسطين المحتلة، وبالتالي يضع الحكومة أمام سياسة التحدّي لأمريكا ونظرتها الحالية لقضية فلسطين. وأسهل الأمور أمام حكومة نتنياهو للخروج من الأزمة السياسية التي تواجهه هو الهروب إلى الخارج؛ أي إلى خارج الأزمات الداخلية، وعدم مواجهتها، والعمل على توحيد يهود أمام الأخطار الخارجية، بافتعال الأزمات الأمنية العسكرية؛ بالاقتحامات المتكررة لمناطق

السلطة وبشكل دموي وتخريبي؛ كما جرى في مدينة جنين قبل أيام، أو بتوجيه ضربات جوية لقطاع غزة... وهكذا إشغال الأوساط السياسية والعسكرية حتى يتم استقرار الوضع الداخلي.

وفي الختام نقول: إن طبيعة الأحداث الجارية اليوم في حكومة يهود، والصراع السياسي القادم يذكرنا بحقائق منها:

١- إن ما يجري داخل هذه الحكومة يذكرنا بقوله تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الحشر: ١٤]. فهذه الأحزاب لا يجمعها إلا العدو المشترك وهو الإسلام. فهي متناقضة متنافرة، منقسمة إلى شرقي وغربي، وإلى فقراء ورأسماليين، وإلى سادة وعبيد من حيث الطبقة السياسية والوصول اليها، وإلى متدينين متشددين، وإلى يساريين في أقصى اليسار؛ فهي عبارة عن لقيط وخليط ليس له لون ولا عنوان ولا دين مشترك.

٢- رئيس حكومة يهود يحاول نقل المعركة إلى خارج نطاق الحكومة والمعارضة، وإبعاد الأمور عن دائرة المحاسبة القضائية على فساده السابق، وفساد بعض وزرائه. وهذا الأمر يقتضي اللجوء إلى تصدير الأزمة للخارج عن طريق افتعال أزمات مع الفلسطينيين. وهي كما يسمونها الخاصرة الأضعف في الصراع، أو نقلها إلى ضربات محدودة ومدروسة وسريعة إلى غزة. وهذا ما يفسر وضع مصر المحطة الأولى في برنامج زيارة وزير الخارجية الأمريكي للمنطقة؛ وذلك لممارسة ضغوط على كلا الطرفين من أجل تهدئة الأجواء وعدم التصعيد.

٣- إن طبيعة الأحداث وتسارعها وفساد يهود يضع السلطة الفلسطينية في موقف صعب أمام أهل فلسطين، وأمام حكومة يهود. ويكون الأمر أكثر صعوبة إذا أقدم الجيش على اجتياح لكامل مناطق السلطة، والقيام بأعمال معينة ضد بعض الأفراد العسكريين والسياسيين.

٤- إن الأحداث الجارية في الأقصى وأكنافه تثير في الأمة الإسلامية النقمة على حكامها، وتدفعها إلى إزالة العقبات التي تحول بينها وبين نصرة أهل فلسطين؛ خاصة أنها تتشوَّق لذلك بدافع حبّ الإسلام، وحب الأقصى وكراهية يهود.

فنسأله تعالى أن تكون هذه الأحداث فاتحة خير على أمة الإسلام، وأن يكون فساد يهود سببًا في عودتها إلى دينها تحت قيادة واحدة في دولة خلافة واحدة، تمامًا كما حدث في أيام إفساد الصليبيين وقيام آل زنكي والأيوبيين بتحرير كامل البلاد والعباد. اللهم آمين. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

شذوذ الغرب الحضاري مفرخة لكل شذوذ انتهاء بشذوذه الجنسي

مناجي محمد

بدأ النموذج العلماني الغربي بمسلَّمة عقائدية أن المعرفة الكاملة لقوانين المادة ستؤدي إلى التحكم التام في الواقع وتوظيفه لمصلحة الإنسان وسعادته، ثم انجلى غبار الوهم وخداع التبسيط وزيف الاختزال العلماني المادي، وحلَّ محلَّ ذلك التبسيط والاختزال المخل إدراكٌ عميقٌ من مفكري الغرب من أن المعرفة الكلية وحتى شبه الكلية لحقيقة الإنسان والحياة والكون مستحيلة، وأن رقعة المجهول تتزايد وتتعاظم ودائرة المعلوم تتناقص وتتآكل، وأن المعارف المادية والعلمية منها فوق كونها قاصرة عن فهم الظاهرة الإنسانية المتجاوزة لحدود المعمل والمختبر، فمعارفها احتمالية إلى حد كبير، والواقع الإنساني مركَّب ومعقَّد وهكذا طفح إلى السطح مفهوم «النسبية» المعرفية في الفكر العلماني الغربي، واتَّضح جليًّا قصور الفلسفة المادية العلمانية الغربية ووقوف الفكر العلماني الغربي عاجزًا أمام القضايا الحضارية الكبرى من مثل «الوجود وسببه» و«الوجود معناه وغايته» و«السعادة» و«المصير» و«القيم» و«الخير والشر».

ثم تعاظمت المعضلة الفكرية للفلسفة العلمانية المادية الغربية حتى انتهت إلى التيه الفكري الحديث وبرزت مفاهيم العدمية واللامعنى، ثم تلتها مفاهيم المابعديات وأصبحت مفردة «ما بعد» لازمةً اصطلاحية ومفهومًا يمسك بناصية الفكر العلماني الغربي على شاكلة «ما بعد الحداثة» و«ما بعد الميتافزيقا» و«ما بعد العلمانية» و«ما بعد الفلسفة»، وما بعد عند التحقيق هي اختزال لإفلاس المنظومة القائمة وعجز عن ابتكار البديل، فهو رفض بأسلوب فلسفي للقائم وعجز عن استشراف القادم، تم نحَّته كفلسفة واصطلح عليه فلسفة التفكيك أو ما بعد الحداثة.

فانتهى الفكر العلماني المادي الغربي إلى العدمية الشاملة واللاعقلانية المادية الخالصة، وإن شئت فقل فلسفة الحمق؛ فأنتج الغرب عصارة شذوذه الفلسفي والفكري وترجمها شذوذه الحضاري. فأنهت الفلسفة العلمانية المادية الغربية المسألة الإنسانية بعد تفكيك الإنسان إلى مادة صماء، يتساوى فيها حسب التفسير المادي ومعيار وقوانين المادة الإنسان والحيوان والقرد واليرقة والشجرة والحجرة، وتأسَّست نظريات ومدارس لهكذا شذوذ فكري فظهرت نظرية داروين للتأسيس للعنصرية الغربية، بها يفرز البشر وينخل حسب المعايير الداروينية العلمانية «حرب الكل ضد الكل» و«البقاء للأقوى»، ونظريتا ويليام جيمس

وتوماس مالتوس عن تقليص حجم هذه الكتلة المادية البشرية لإتمام الفرز والنخل واستئصال الفائض البشري المادي، ونظرية ومدرسة فرويد للتحليل النفسي المادي للتأسيس للإباحية الجنسية والشذوذ الجنسي والفوضى الجنسية، ثم تجارب بافلوف على الإنسان-الكلب لنزع أي قداسة عن التميز الإنساني وتسويته بالحيوان الشيء. وانتهى الشذوذ الفلسفي العلماني الغربي إلى تفسير أحادي شاذ، إنِ الوجود كل الوجود إلا مادة صماء لا تعرف لا خيرًا ولا شرًّا ولا قيمًا ولا أخلاقًا ولا معنًى ولا غايةً، بل توصيف الخير والشر والقيم هو مجرد توصيف لظواهر مادية صرفة (اختلالات مادية، بيئة، جينات، غدد، هرمونات، أنزيمات...) يُتعامل معها بأدوات مادية بحتة (الأدوية، العمليات الجراحية، عمليات التجميل، تخفيض الانبعاثات الكربونية...).

وفي غياب كل يقين معرفي وإيمان وقيم وأخلاق غاب الهدف والقيمة والمعيار والمعنى والغاية، وحلَّت العدمية الظلامية والشك المطلق المحيِّر وتساوت المتناقضات وسوغت المتضادات وأصبحت السيولة والميوعة نسقًا فكريًّا، والفراغ جوهرًا معرفيًّا. وإن كانت الحداثة الغربية هي نفسها عدمية وعبثية، فما بعد الحداثة هو ملامسة القاع العدمي العبثي، فالعدمية العلمانية نتيجة طبيعية لفلسفة جحدت بالأساس الأول ونقضت الشرط الأساسي الحتمي للمعنى والغاية في المسألة الإنسانية وهو الإيمان بخالق الإنسان، فكيف يكون إدراك لمعنى وغاية الآلة في جحود كافر برب الآلة، فالنتيجة حتمًا هي العدم والتيه والحيرة، وذلك ما عبر عنه أحد فلاسفتها ريتشارد رورتي (١٩٣٧-٢٠٠٧)م: «إن الحضارة العلمانية الحديثة لن تكتفي باستبعاد فكرة القداسة أو بإعادة تفسيرها بشكل جذري، وإنما ستهاجم الذات الإنسانية نفسها كمصدر للحقيقة».

في شذوذ فلسفتها، حوَّلت العلمانية المادية معارفها الثقافية إلى أدوات تفكيك وهدم ونسف للحقائق وزرع للشك والريبة وتوليد للحيرة والضياع، يقول علي عزت بيجوفيتش (رحمه الله): «وهكذا رأينا علم الاجتماع الديني يقضي على الجوهر الأساسي للدين، وعلم النفس يقضي على النفس، وعلم الأنثربولوجيا (الدراسة الثقافية للإنسان) يقضي على الشخصية الإنسانية، وبَيَّنَ علم الأخلاق أن الذي نحسبه أخلاقًا هو مجرد نوع من الأنانية المستنيرة، أي أن الأخلاق نفي للأخلاق في علم الأخلاق، بل إن علم البيولوجيا قرر أن الإنسان ليس في الحقيقة إلا حيوان وأن الحيوان شيء، وأن الحياة في نهاية الأمر مجرد آليات بلا حياة».

فهذا الشذوذ الحضاري لفلسفة الغرب العلمانية المادية أنتجت للبشرية مأساتها الفريدة الشاذة، فلأول مرة في التاريخ البشري يلغى المعنى والغاية من الوجود الإنساني، ويُصنع دين وضعي من دون قيم ولا أخلاق ولا معايير ولا مقاييس للخير والشر مرجعيته النهائية هي في إنكار أي مرجعية. وهذه الإباحية المعرفية الشاذة لا تعرف لا مقدسات

ولا مطلقات ولا حقائق ولا محرمات، حيث الإنسان العلماني في العراء الحضاري التام. ففي تفكيكه هو مجرد مادة صماء وكتلة عضلية مادية صرفة، يتم توظيف هذه الطاقة العضلية إنتاجًا واستهلاكًا في ضمور تام وإقصاء شامل لأي حس قيمي أو أخلاقي أو إنساني مع جحود تام لأي صلة بخالق الإنسان ومدبر أمره. وهكذا انتهت الفلسفة العلمانية المادية في شذوذها إلى إنجازها الأهم وهو إلغاء العقل نفسه مَلَكة إنسانيةِ الإنسان وأداة فهمه لمعناه وغايته، بل حولته إلى كائن مادي خالص تحركه دوافع مادية خالصة لا تتجاوز عالم المادة، والهدف من هذه الحركة المادية الصرفة هو هدف مادي بحت وهو اللذة. ولا تتصل هذه الدوافع والإشباعات بخالقها أو ببعث ونشور وحساب وثواب وعقاب وجنة ونار وقيم وأخلاق وحلال وحرام. وهكذا انتهت المنظومة الفلسفية العلمانية المادية إلى الجنون المادي وعدمية اللامعنى كفلسفة حياة ترجمتها أنظمتها بصدق خالص فبات الشذوذ سمة الفلسفة والحياة.

ففي شذوذه، كدَّ وجهدَ وعنتَ العقل العلماني الغربي في صياغة مأساته وأنظمة فنائه وشرائع وطرائق عذاباته، ففي شروده وهو يأبق من ضلال وطغيان كنيسته واستبداد قساوستها وملوكها، انتحل من ديمقراطية الإغريق نظام حكم لإدارة وسياسة توحشه، فهروبًا من الدين حفر العقل العلماني الغربي في أعماق تاريخ الشرك البشري حتى أقعر واستقر به المقام في قعر أثينا الإغريق وما ابتدعته من أنظمة لقيادة وحكم عبيدها، فانتحلها الغرب لقيادة وحكم عبيده وإدارة وسياسة الغابة التي استحدثها لهم في غاية افتراسه، فديمقراطية أثينا هي آلية الغرب لاستعباد شعوبه والمكر بأهله.

فالديمقراطية هي التي مكنته من إحلال كنيسته العلمانية بدلًا عن الكنيسة البابوية، وإحلال ذلك التحالف السافر بين الرأسماليين والساسة العلمانيين محل تحالف القساوسة والملوك الإقطاعيين. ثم انتهت الفلسفة العلمانية من صياغة شذوذها السياسي في تحويل الدولة ووظيفتها ومهامها السياسية من دولة لخدمة المجتمع إلى دولة لخدمة شؤون ومصالح طبقة الرأسماليين المهيمنين أصحاب البنوك والشركات الكبرى، وانتهى المجتمع الغربي بل العالم معه إلى غابة دستورها الافتراس وقانونها الأعلى البقاء للأقوى ونظامها السياسي الشاذ هو مجرد وسيلة لإدارة التوحش.

ثم ترجم الغرب في شذوذه الحضاري حقيقة الشر والمعنى الحقيقي لتعفن الطباع وخبث الأخلاق، في جعله حيازة الدنيا حقًّا مفردًا لحفنة من رأسماليه وحكرًا عليهم، فكانوا بحق في البشرية مادة فساد وإفساد وهلاك وإهلاك، واستبدل الغرب بطبقة الإقطاعيين طبقة الرأسماليين من أصحاب البنوك والشركات الكبرى، ثم فلسفت العلمانية هذا الشذوذ في حب المال حبًّا جمًّا وهذا الجشع والطمع في استئثار حفنة من الرأسماليين بالثروة كل الثروة وأكل الحقوق غصبًا، كقضاء ومشيئة مادية لميكانيكا السوق عبر تلك

الطقوس المادية للعرض والطلب، وصيَّرت هذا الشذوذ الاقتصادي نظامًا وكنَّته السوق الحرة، وهذه السوق المتحرِّرة لا تكترث بالإنسان وحاجاته وغرائزه ولا بمشكلته الاقتصادية ولا بهَمِّ معيشته وحاجاته الأساسية، وغير معنيَّة البتة بالقيم والأخلاق والغايات، ففي دين السوق غاية الغايات هي الربح ولا شيء يعلو فوق الربح. وهنا انتهت العلمانية الغربية من صناعة شذوذها الاقتصادي، فمع الاقتصاد الحر والسوق الحرة أنهت المشكلة الإنسانية عبر التخلص من صاحب المشكلة، فصمَّمت وصنعت للبشرية غابة يفترس قويها ضعيفها، ثم عولمت هذا المقت والشذوذ الحضاري عبر استعمارها وحروبها الطاحنة، وأنتجت للبشرية مأساتها الكبرى وسمتها لها نظامًا دوليًّا ونظامًا عالميًّا، ثم جعلتها تعيش عين اليقين معيشتها الضنكى وخراب ودمار دنياها.

وفقًا لمصرف كريدي سويس «ارتفع إجمالي الثروة العالمية بنسبة ٩,٨ لتستقر في حدود ٤٦٣,٢ تريليون دولار، وبنهاية ٢٠٢١م كانت ٤٥,٥٪ من الثروة العالمية في أيدي ١٪ فقط من السكان مقارنة بـ٤٣,٩٪ في عام ٢٠٢٠م»، بينما «أكثر من ٥٠٪ من أهل الأرض ما يتجاوز ٣ مليارات إنسان يعيشون يوميًّا بأقل من ٢,٥ دولار، وأكثر من ١,٣ مليار إنسان بأقل من ١,٢٥ دولار، و٨٠٥ مليون إنسان لا يجدون قوت يومهم». وفي تقرير مؤسساتهم الدولية وما خفي أقبح وأشنع تقرير الأمم المتحدة «عدد الجياع في العالم ارتفع إلى ٨٢٨ مليون إنسان في عام ٢٠٢١م. و٤٥ مليون طفل دون الخامسة من العمر يعانون من الهزال بسبب الجوع، ١٤٩ مليون طفل دون سن الخامسة يعانون من التقزم بسبب النقص المزمن للغذاء». كما أعلن برنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة لسنة ٢٠٢٢م عن أرقام وحجم الكارثة الإنسانية «موت ٣,١ مليون طفل تحت سن الخامسة من الجوع في كل عام بمعدل ٤٥٪ من وفيات الأطفال عالميًّا، ويتأثر ١٦ مليون طفل بسوء التغذية الحاد».

ويؤدي هذا الشذوذ الاقتصادي بحسب تقديرات خبراء الغابة العلمانية لسنة ٢٠٢٠هـ إلى موت أكثر من ١٣٢ مليون إنسان بسبب الجوع في العالم، بمعدل ٣٦٢ ألف إنسان يوميًّا أكبر من ضحايا القنبلتين النوويتين على هيروشيما وناغازاكي (٢٢٠ ألف قتيل). بل في سحقه للإنسان عدَّدّ الغرب العلماني أصنافًا وألوانًا من العذاب، فلك أن تموت من قرص الجوع أو من جرعة مخدر أو من تحويلك إلى لحم تنهشه ضباع البشر، فالسوق الحرة تتكفَّل بذلك فإنسانها مستهلِك ومستهلَك مادة إنتاج واستهلاك. وهكذا أفرز شذوذ السوق الحرة تجارة المخدرات وقدر ذلك الركام البشري الذي تمَّ تحطيمه وركسه بـ٣٠٠ مليون مدمن مخدرات متمركزين في كل من أمريكا وأوروبا، وعلى مستوى العالم قدر العدد بمليار مدمن ومتعاط للمخدرات ويمثل الشباب الغالبية العظمى، وقدر حجم تجارة المخدرات بـ٨٠٠ مليار سنويًا ما يمثل ٨٪ من حجم التجارة العالمية.

أما فاتورة هذا الشذوذ الاقتصادي فنصف

مليون من الوفيات من متعاطي المخدرات سنويًّا، ثم أضعاف هذه الأعداد من المصابين بالأمراض الفتاكة كالإيدز والسرطان والالتهاب الكبدي الحاد والاضطرابات النفسية والسلوكية المصاحبة لتعاطي المخدرات، وعطفًا عليها جرائم السرقة والقتل والعنف والاغتصاب. ثم أنتج هذا الشذوذ الاقتصادي صنفًا آخر من العذاب، التجارة في لحوم البشر، فقد قدَّرت الدراسات الغربية حجم سوق صناعة وتجارة البغاء بـ١٥٠٠ مليار دولار ما يمثل أكثر من ١٥٪ من حجم التجارة العالمية. وهذا الحطام البشري من النساء اللواتي سحقتهن رأسمالية الغرب الملعونة وحولتهن إلى الشيء السلعة والبضاعة في سحق تام لكرامتهنَّ الإنسانية، قدر عددهنَّ بـ٥٠ مليون امرأة حوِّلنَ إلى بغايا. وتناسل الشذوذ فكانت جرائم الاغتصاب. ففي أمريكا النموذج الصارخ لعلمانية الغرب، ذكر مركز الضحايا الوطني ومركز الأبحاث ومعالجة ضحايا الاغتصاب في دراسة له بواشنطن أن ٧٨ امرأة يتعرضن للاغتصاب كل ساعة أي بمعدل ٦٨٣ ألف امرأة سنويًّا والنسبة في ازدياد، وتضيف الدراسة أن ١٣٪ من النساء الأمريكيات تعرضن للاغتصاب على الأقل مرة واحدة في حياتهنَّ، وأن ٦١٪ منهنَّ كنَّ دون سن ١٨، و٢٩٪ دون الحادية عشرة من العمر. وفي دراسة أخرى فإن معدل الاغتصاب في أمريكا يتراوح ما بين ٢١٪ و٢٣٪.

ثم في شذوذها أعادت الحضارة العلمانية المادية صياغة مفاهيمها للإنسان والاجتماع البشري على ضوء معايير المنفعة المادية والجدوى الاقتصادية، فصيَّرت الإنسان شيئًا وسلعة وحوَّلته إلى مادة إنتاجية واستهلاكية قابلة للتوظيف بأقل التكاليف لتحقيق أعلى عائد وربح في وقت قياسي، فالكلفة والثمن والعائد والربح والوقت وساعات الإنتاج والاستهلاك هي المعايير الحاسمة والصارمة في الرؤية العلمانية المادية الشاذة للنوع الإنساني والعلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة.

ثم قاءت الحضارة الغربية العلمانية عصارة شذوذها الحضاري في تناولها لمسألة النوع الإنساني ونظامه الاجتماعي، فحطَّمت وهشَّمت حقيقة الرجل والمرأة والأسرة، وانتحلت في شذوذها مفاهيم ومصطلحات ودلالات شاذة لمسخ النوع الإنساني وتشويه اجتماع النوعين، فكان قيح شذوذها مصطلح الجندر أو النوع الاجتماعي، بمعنى أن نوع الإنسان الذي يشير إلى جنسه من كونه ذكرًا أو أنثى لا تحدِّده خِلقته وسماته البيولوجية والفسيولوجية التي تميز الذكر والأنثى، بل المعايير والقوالب وأعراف المجتمع والثقافة السائدة والأفكار والتصورات الثقافية لمعنى الذكورة والأنوثة (وهي تحديدًا القوالب الثقافية العلمانية)، فهذه الأخيرة هي من يصوغ الإنسان جنسيًّا ويحدد نوعه الجنسي «الجندر» بمعزل عن نوعه الحقيقي وطبيعة خِلقته. وفي شذوذها وتطرفها باستحداثها لمفهوم الجندر، أحدثت العلمانية الغربية قطيعة وانفصامًا شاذًّا بين جنس الإنسان الحقيقي وغريزته الفطرية وبين الممارسة والإشباع الشاذَّ، فتشكَّلت ونمت تلك السلوكيات الشاذَّة

المتطرفة واتخذت أشكالًا متعددة لم يعرفها تاريخ البشر، حتى قوم لوط في قبيح صنيعهم لهذه الموبقة اقترفوها بوصفهم ذكورًا لا شيئًا أو نوعًا آخر. ثم استحدثت الفلسفة العلمانية في شذوذها مفهوم المساواة الجندرية أي لا خصوصية للرجل أو المرأة ولا فوارق بين الذكر والأنثى، ثم عولمت هذا الشذوذ الاجتماعي عبر مؤسساتها الدولية وجعلته جزءًا من إعلانها المعولم لحقوق إنسانها، وجعلته شرطًا مسبقًا للتنمية المستدامة وترسيخ ثقافة حقوق الإنسان العلمانية، ثم أصبح هذا التشويه الجنسي ومسخ النوع البشري سياسة دولية تم فرضها قسرًا حتى على الأطفال في الروضات والمدارس عبر مناهج التعليم وألعاب الكرتون. وتبنَّت مصطلح الجندر الأمم المتحدة في مؤتمر بكين عام ١٩٩٥م، وتم ترويجه بكثافة سردية لطبعه في الأذهان، لدرجة أن البيان الختامي ذكرت فيه مفردة الجندر ٢٣٣ مرة.

ثم هذه المحادة الشاذة للفطرة ما كانت لتمر دون عواقب مأساوية وكارثة إنسانية وأرقام الدمار والخراب المجتمعي شاهد، فنسبة الانتحار بين الشاذين جنسيًّا هي الأعلى على الإطلاق بين المنتحرين في الغرب. وكذلك نسبة الاكتئاب والإدمان على المخدرات، فحسب الإحصاءات الأمريكية لسنة ٢٠٢٠م «أنه، بعد أول خمس سنوات من الشذوذ الجنسي، فإن ٩٢٪ من الشوَّاذ قد لجؤوا للانتحار مرة واحدة على الأقل، ٩٧٪ لجؤوا للعلاج النفسي»، عطفًا على الأمراض الفتاكة التي ظهرت في أوساطهم كمرض الإيدز الذي حصد منذ انتشاره في أوساط الشاذِّين جنسيًّا في التسعينات من القرن الماضي حياة أكثر من ٤٠ مليون شخص حتى نهاية ٢٠٢٢م، وتحتل الولايات المتحدة بين الدول الغربية المركز الأول في عدد الإصابات بالإيدز، ويوجد فيها أكثر من ١,١ مليون شاذٌ يحمل مرض الإيدز حسب إحصاء ٢٠٢٠م.

ثم في كل هذا، ما كانت هذه الفلسفة العلمانية الملعونة إلا نفث ونفخ إبليس الرجيم، وما كان اللعين ليتوقف حتى يُنهي المسألة الاجتماعية للنوع البشري بالكامل ويُتِمَّ شذوذه، فكانت لعنة سيداو تفكيكًا للمرأة والأسرة، وعبرها تمت عولمة هذا الشذوذ الاجتماعي في قالب اتفاقية دولية تحت بند إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة، علمًا أن هذه المرأة في الرؤية العلمانية المادية هي ذلك الجسد المادي حصرًا وقصرًا، فبعد تفكيكها عبر المعيار المادي وتحويلها للمرأة الشيء والسلعة والمادة الإنتاجية والاستهلاكية، تم تحديد قيمتها المادية في ثمن جاذبيتها الجنسية ومردود اللذة الاقتصادي منها والربح المستخلص بعدها. وفي التحليل الأخير انتهى شذوذ الغرب الاجتماعي ومعياره المادي الشاذ المدمر بالمرأة إلى بغي ومومس كمنتج اقتصادي منتج للذة ومستهلك لأدوات الزينة والتبرج ومدرّ للربح، فالغرب الكارثة في شذوذه وتطرفه حوَّل المرأة إلى مومس وحول الدعارة والبغاء إلى حريات شخصية ثم صيَّرها صناعة وتجارة في لحوم البشر، وفي شره يسعى لتعميمها وعولمتها وسيداو هي

الاتفاقية الناظمة لعولمة هذا المقت والشذوذ الاجتماعي في سحق كافر لكرامة المرأة ومسخ إنسانيتها عبر تحويلها إلى البغي السلعة والبضاعة خدمة لشرذمة وحوش الرأسمالية ونماء لأرباحهم.

في كتابه (البغاء... مهنة كأي مهنة) يقدر الباحث ريتشارد بولان حجم صناعة البغاء على الصعيد العالمي بـ١٥٠٠ مليار دولار وجيش البغايا بـ٥٠ مليون امرأة. بل تم تحويل بلد بكامله كتايلاند إلى ماخور بغاء. فالنموذج التايلاندي هو النموذج الصارخ في تحويل المرأة إلى سلعة وبضاعة ومادة استهلاكية وأداة للمتعة أي بغي، ففي هذا البلد الآسيوي الذي جعلت منه أمريكا حاضنة لشذوذها الحضاري أصبح قطاع البغاء فيه أهم مصادر إجمالي الدخل. وهو ما يسعى الغرب لتعميمه، ومن أفعل آلياته السياحة «الجنسية» وجعلها رافدًا اقتصاديًّا، فهذا التشجيع على السياحة والتوصيات المتكررة للمؤسسات الدولية بها كرافد اقتصادي، يستبطن في خبث خفي الغاية الخبيثة من كون السياحة أداة من أدوات الغزو الحضاري المباشر، فعوض العساكر الغازية جيوش الغزاة من السائحين الغربيين المنحلين والشاذِّين.

وبعد إغراق المجتمع في هذه الفوضى والاضطرابات الحادة القاسية لمحددات النوع البشري، وما نتج عنها من اختلال للوظائف والأدوار للذكر والأنثى، عبر شذوذ الجندر في تسويته الشاذة للذكورة والأنوثة وطمس الفواصل ومسخ الفطرة وجعل الذكورة والأنوثة مسألة عرضية طارئة. انتهى الغرب في شذوذه الحضاري إلى تحطيم وتهشيم نواة الاجتماع البشري «الأسرة» والتزاوج بين الذكر والأنثى، ففكَّك وحطَّم الإنسان ثم نوعه الرجل والمرأة ثم اجتماعهما الطبيعي الأسرة ووصل بشذوذه الاجتماعي إلى أقصى حدود الشذوذ بتحطيمه نواة الاجتماع البشري وسبب بقاء نوعه في سعيه الحثيث لاختصار زمن الفناء والانقراض البشري.

ففي شذوذه الاجتماعي استحدث صيغًا شاذة للاجتماع، فقد أشارت إحدى مطبوعات الأمم المتحدة أوردها كتاب (الأسرة وتحديات المستقبل) إلى أن هناك ١٢ شكلًا ونمطًا للأسرة منها أسر الشواذ (الجنس الواحد)، وكان مؤتمر بكين قد أقرَّ وجود ٦ أنماط للأسرة بحسب الوسط الاجتماعي. ثم رتبت وثيقة برنامج عمل مؤتمر القاهرة للسكان حقوقًا للشوَّاذ جاء فيها «ينبغي القضاء على أشكال التمييز في السياسات المتعلقة بالزواج وأشكال الاقتران الأخرى» تم التعبير عليها بمصطلح «الأسرة بكافة أشكالها». وتكريسًا لهذا الشذوذ المتطرف وصفت المادة الخامسة لاتفاقية سيداو الملعونة وظيفة المرأة بأنها وظيفة اجتماعية يمكن أن يقوم بها أي شخص.

وفي لعنة شذوذه الاجتماعي استأصل النسل والأنساب والأرحام، فلا نسب ولا صهر ولا بنين ولا حفدة ولا أصول ولا فروع، فمع جندره وشذوذه الجنسي لا آباء ولا أمهات ولا إخوة ولا أخوات ولا أخوال ولا خالات ولا أعمام ولا عمات ولا أجداد ولا أحفاد، بل جيفة بشر

مُنْبَـتَّة لا نسل لها ولا غرس ولا جذور ولا فروع.

من ذا الذي يستطيع أن يقول إن هذا الوضع الاجتماعي الشاذَّ وثماره الخبيثة السامة وعواقبه المدمرة يمكن أن يدوم، مهما أقيمت له الأسانيد من تلك الفلسفة العلمانية الكافرة، فأرقام الكارثة تنبئ عن الانتحار والموت وليس الحياة. ففي أوروبا واتحادها البائس ٤٧٪ من المواليد هم أبناء زنا، وتشكل فرنسا قمة هذا الشذوذ الاجتماعي بنسبة ٦٠٪ وفي بريطانيا حسب الإحصاءات الأخيرة لـ٢٠١٨م تجاوزت النسبة ٥٠٪ بحسب الـ(بي بي سي) للأخبار. أما عن تدمير الحياة الزوجية فقد أظهرت البيانات الصادرة عن المركز الأمريكي للإحصاءات الصحية عام ٢٠٢٠م أن معدلات الزواج انخفضت بشكل قياسي وغير مسبوق. ثم أدى هذا الوضع الاجتماعي الشاذُّ إلى انخفاض حاد في معدلات الخصوبة واختلالات في الهرم السكاني وانتشار للشيخوخة، وانطبق اسم أوروبا العجوز انطباقًا تامًّا على مسمَّاه؛ حيث يعيش في أوروبا أكبر نسبة من المسنين في العالم، ففي حين يبلغ سكانها مليار نسمة تقريبًا لسنة ٢٠٢١م، فإن حوالى ١٩١ مليون شخص منهم تتجاوز أعمارهم ٦٠ سنة، ويبلغ عمر خمس سكان الاتحاد الأوروبي أكثر من ٦٥ عامًا. وكشف تقرير صادر عن مكتب الإحصائيات «يوروستات» تابع للمفوضية الأوروبية في تموز/يوليو ٢٠٢٢م، انخفاضًا جديدًا في عدد سكان الاتحاد الأوروبي في عام ٢٠٢١م، بعد أول انخفاض في النمو السكاني في عام ٢٠٢٠م، وأضحت شيخوخة أوروبا نذير فنائها وانقراض مجتمعاتها.

ثم تناسل ذلك الشذوذ الاجتماعي لتزحم تلك الرحم الملعونة بأشنع شذوذ وألعن الموبقات، سفاح المحارم والأطفال تحديدًا، فقد أعلنت صحيفة «ميديا بارت» الفرنسية أن اللجنة التي شكلت من أجل زنا المحارم في فرنسا كشفت عن أرقام مفزعة وصادمة في تقريرها الذي ستصدره في ٢٠٢٣م، وتشير إلى تعرض حوالى ١٦٠ ألف طفل لسفاح المحارم سنويًّا في فرنسا، وتحدَّث التقرير عن وجود نحو ٥,٥ مليون ضحية في البلاد، وأغلب الضحايا من الإناث (٩ من أصل ١٠) ومتوسط عمر الضحايا الآن ٤٤ عامًا، وواحدة من أصل ٤ ضحايا تعرضت للاعتداء الجنسي وعمرها لا يتجاوز وقتها ٥ سنوات، وتحدث التقرير عن الآثار الكارثية على الضحايا نفسيًّا وبدنيًّا ترجمه ارتفاع معدلات الإدمان والانتحار في أوساطهم، علمًا أنها مأساة ومعاناة لا تنتهي.

هو الغرب اللعين حسم أمر انتحاره، وشذوذه الحضاري هو شفرته لقطع شرايينه، جاء في كتاب (انتحار الغرب) لكاتبيه ريتشارد كوك وكريس سميث «إذا كانت هناك أزمة للغرب فهي أزمة تولدت تولدًا داخليًّا، إنها تكمن في انهيار الغرب، إنها تكمن في الرؤوس الغربية، إنها تكمن في الأفكار». ويؤكد هذا المفكر السياسي الأمريكي باتريك بوكانان في كتابه (موت الغرب) من أن العوامل المؤذنة بموت الغرب وانهياره الحضاري الفظيع هي عوامل داخلية «انخفاض معدلات المواليد وذوبان العائلة واندثارها كوحدة اجتماعية،

وعزوف النساء عن الحياة الطبيعية (الزواج وإنجاب الأطفال ورعايتهم)، وعزوف الشباب عن مؤسسة الزواج وشيوع الجنس واللواط، مع الحماية لهذه النزعات غير السوية».

وما يخفيه هذا الشذوذ الاجتماعي من أهداف خفية خبيثة أشنع وألعن، فهذا التدمير الممنهج للإنسان في كينونته واجتماعه قبل أن يكون فلسفة كان تصميمًا وغاية لإدارة التوحش والتغول العلماني من طرف الفئة الحاكمة المهيمنة. وإن كانت الفلسفة الغربية وحضارتها في جوهرها شاذة، فالذي يغذي هذا الشذوذ المتطرف اليوم وينزع به إلى حدوده القصوى هو تلك العصابة الرأسمالية المتحكمة في الدولة والمجتمع والموجهة للفكر والسياسة، فهذا الشذوذ الماحق اليوم بات سلاحًا من أسلحتها للضبط والتحكم لاستمرار المنظومة على حالها في الداخل، وسلاحًا من أسلحة دمارها وخرابها في الخارج لاستمرار استعمارها وهيمنتها.

يخبرنا التاريخ القريب أن هذه الإباحية الشاملة والفوضى الجنسية التي عمت الغرب والتي اصطلح عليها بالثورة الجنسية، وهو مصطلح للتعبير عن التغيير الجذري في العلاقات الجنسية في العالم الغربي بين نهاية الستينات وبداية السبعينات، وأن هذه الإباحية قبل أن تتشكل كفلسفة للحياة كانت تصميمًا وغاية خبيثة أدارت بها عصابة الحكم الرأسمالية في الغرب ثورتها المضادة ضد أعمق وأشرس تمرد ثوري عرفته المنظومة الرأسمالية من داخلها، ونعني به تحديدًا ثورة أيار/مايو ١٩٦٨م التي قادها مفكرو ومثقفو الغرب وطلبة الجامعات وسادت الاحتجاجات وانتشرت في كل من أوروبا وأمريكا، وكان تمردًا واحتجاجًا جذريًّا ضد المنظومة الفلسفية الغربية وترجمتها الحضارية بشقيها الرأسمالي والشيوعي، فابتكر شياطين الرأسمالية ثورتهم المضادة «الثورة الجنسية» فكانت فلسفة وسياسة لدائرة رأسماليي الحكم والسلطة وتصميمًا لحرف ثورة مفكري ومثقفي وطلبة الغرب وامتصاص احتقانهم وشل حركتهم وتزييف أهدافهم، فحل الانحلال الجنسي مطلبًا بدل نسف المنظومة وهدم حضارتها والتغيير الجذري لفلسفتها.

والشذوذ الجنسي اليوم هو امتداد لسياسة إدارة التغوُّل والتوحُّش في الداخل الغربي، فالأزمة الاقتصادية الأخيرة لسنة ٢٠٠٨م ضربت قلب الاقتصاد الرأسمالي بنوكه الكبرى، وكانت لها آثارها المدمرة في الداخل الغربي، وظهر جليًّا إفلاس المنظومة العلمانية وتهاوي ركيزة بنيانها الأساسية نظامها الاقتصادي، وظهرت معه بوادر التمرد والاحتقان الشديد المؤذن بالانفجار، فكان الشذوذ الجنسي هذه المرة هو الفلسفة والسياسة لإدارة التغوُّل والتوحُّش وصد التمرد ضد المنظومة الفاشلة. فهذه الإباحية الشاملة والسعار الجنسي والشذوذ الجنسي بهذه الكثافة وبهذا الزخم والسرعة، هو لتذويب الإنسان الغربي في ماكينة النظام حتى يصبح جزءًا أصيلًا منه في عُطبِه عُطبُه، فيستميت في الدفاع عن بقاء وديمومة النظام، ففي انحلاله وشذوذه يتم ذلك الانسجام التام

والانطباق الكامل مع انحلال وشذوذ الفلسفة الغربية وحضارتها وأنظمتها، ويستميت حينها الإنسان الغربي المنحل جنسيًّا والشاذ جنسيًّا في الدفاع عن المنظومة الشاذة التي توفر له كل أسباب إشباعاته الشاذة، والتي لن يجد له وضعًا وحياة منحلة وشاذة إلا بها وفيها، بل تم حرف بوصلة حاجات الإنسان الغربي تلك الحاجات الطبيعية الإنسانية واصطناع حاجات شاذة بدلًا عنها وجعلها مطلبًا، ومظاهرات الشواذ في مدن الغرب هي الترجمة، وهنا أحكمت قبضة الفخ في الداخل الغربي بتحويل المشكلة من أزمة منظومة وعصابة الحكم إلى مشكلة مجتمع مع شوَّاذه.

أما الخارج فإباحية الغرب وشذوذه الجنسي هي فخاخه التي نصبها للبشرية لاستئصال جزء منها، ومحاولة حرف جزء آخر وهو يخوض ضده حربًا حضارية ضد إسلامه وسموه الحضاري وتحدٍّ يه الفكري، بغية ديمومة استعماره خدمة لعصابة رأسماليه. أما عن الشق الأول فنشر وإشاعة انحلاله وإباحيته الجنسية وشذوذه الجنسي هو التنفيذ والتطبيق العملي لمقتضيات شذوذه الحضاري ورؤيته في تقليص البشر (نظريات ويليام جيمس ومالتوس) لمعالجة ما وصفه الغرب بالخطر السكاني واصطلح عليه تضخم السكان أو الانفجار الديمغرافي، في زعم منه خاطئ كاذب عن وجود خلل وعطب في التوازن بين عدد السكان وحاجاتهم ومواردهم المتوفرة. فكانت سياساته الاستئصالية وبرامج إبادته لجزء من البشرية، وتقرير كيسنجر لسنة ١٩٧٤م فاضح، فعبر الوثيقة التي أصدرها مجلس الأمن القومي الأمريكي باسم تقرير كيسنجر، والتي كان موضوعها «آثار النمو السكاني في جميع أنحاء العالم على الأمن الأمريكي والمصالح الخارجية» والتي عرَّت الحقيقة الداروينية والوحشية الغربية في التعامل مع البشر كركام يستعمل ويركس ويباد، فالتقرير رسم خطة الإدارة الأمريكية ومن ورائها وحوش الرأسمالية لتخفيض عدد سكان الأرض من أجل الوصول إلى المواد الخام وثروات تلك الشعوب بأقل كلفة عبر إبادتهم سلفًا. جاء في التقرير «سيتطلب الاقتصاد الأمريكي كميات كبيرة ومتزايدة من المعادن من الخارج، خاصة من الدول الأقل نموًّا. هذه الحقيقة تعطي الولايات المتحدة اهتمامًا متزايدًا بالاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي لتلك الدول، ويمكن أن يؤدي تقليل الضغوط السكانية من خلال انخفاض معدلات المواليد وتقليل عدد السكان إلى زيادة احتمالات هذا الاستقرار، بناء عليه تصبح سياسة تقليل السكان ذات صلة بإمدادات الموارد والمصالح الاقتصادية للولايات المتحدة بشكل مباشر». فهذه الإبادة للجنس البشري هي نهج أصيل وشذوذ متجذر في الفلسفة والحضارة العلمانية الشاذة، وأدواته تحديد النسل وتحطيم الزواج والزهد فيه والحروب الطاحنة والأوبئة الفتاكة المصطنعة والمفتعلة، ثم هذه الإباحية الجنسية انتهاء إلى هذا الشذوذ الجنسي ما هي إلا أداة من أدوات الإبادة والاستئصال.

أما الشق الثاني على مستوى الخارج وهو

الأخطر والأهم كونه يستهدف البديل الحضاري والخلاص البشري، والغرب العلماني في شذوذه الحضاري وإفلاسه الفلسفي وفي هزيمته الفكرية المدوية أمام الإسلام بعد أن تم تجريده من كل ذاك الزيف الحضاري والدجل الفكري، ولما سقط في يده وأعجزته وأرهقته هزيمته أعلنها توحشًا خالصًا وقتلًا وسفكًا للدماء الطاهرة وإشاعة للفواحش إباحية جنسية وشذوذًا، في محاولته البائسة اليائسة لمسخ عقول المسلمين وانتزاع إيمانهم وركس وتشويه فطرتهم لاقتلاع نبل سلوكهم وتحطيم عزمهم في سحق ودفن المشروع العلماني الغربي الشاذ وإعادة البديل الإسلامي إلى دفة القيادة والريادة، وذلك عبر ترسانة قانونية لتشريع وعولمة الرذائل والفواحش والشذوذ باسم الحريات وحقوق الإنسان، حتى إن قرن الشيطان أمريكا عينت سفيرًا خاصًّا للنظر في شؤون الشواذ، ثم سيف التجريم والوصف بالرُهاب المثلي والكراهية والتطرف والإرهاب مسلط على كل من رفض ونازع وكافح هذا السحق والمحق الحضاري، وهم المسلمون تحديدًا حصرًا وقصرًا. فالإباحية الجنسية والشذوذ الجنسي وهذا السعي النكد لإشاعتهم بين المسلمين هو حملة في حرب حضارية صليبية، لقتل فضيلة الإسلام والإيمان به في قلوب أهله وتعسفهم بكفر الغرب وضلاله لإغراقهم في مستنقع علمانيته.

هو شذوذ الغرب الحضاري قد استفحل واستشرى، وكل هذا السحق الحضاري ومفاهيمه الشاذة الجندر وسيداو والشذوذ الجنسي وقبلها العنصرية ونظريات العرق المادية وتأصيل الإبادة عبر نظريات مالتوس وداروين ونشر الأوبئة والعلم التجريبي الأسود، فكل هذا الشذوذ ليس خللًا معرفيًّا ولا عطبًا فكريًّا ولا هي مظاهر انحراف ولا ظواهر وأحداث طارئة عارضة على المنظومة العلمانية المادية الغربية، بل هي نسق معرفي ومنهج فكري من صلب وصميم الفلسفة العلمانية الشاملة وإفراز منطقي لها.

فنحن في صلب وصميم الفلسفة المادية العلمانية، ولسنا خارج دائرة إنتاجها المعرفي ولسنا على الحواشي والأطراف فضلا أن نكون في دائرة العارض الطارئ أو الفكر الدخيل، فالشيء من معدنه لا يستغرب، فشذوذ الغرب الحضاري هو إفراز منطقي لمفاهيم شاذة عن الحياة تفرعت عن جذر فلسفي علماني مادي شاذ.

إنها لحظة الحقيقة العارية في ضوء ما تكشف من أزمات ساحقة وكوارث طاحنة وحروب عدمية وتوحش وتطاحن استعماري وعنصرية وإبادة بشرية، وكل أصناف الشذوذ فلسفي وسياسي واقتصادي واجتماعي، فحتى الإنسان الغربي نفسه لم يعد يرى في المنظومة العلمانية المادية الغربية مشروع حياة وإعمار وسعادة، بل أصبح يراها مشروع موت وشقاء وانتحار. فالحديث الدائر اليوم في الغرب هو عن تدهور الغرب وسقوط الغرب وانحطاط الغرب وانتحار الغرب وموت الغرب وعن مفاهيم الفناء لا الحياة، إن ثمرة حضارة

الغرب العلمانية المادية كانت إلى أبعد الحدود قاتمة مظلمة مصدرًا خالصًا لكل بؤس وشقاء مستنقعًا للأدواء ومقبرة للفناء.

يا معشر العقلاء، إن علمانية الغرب المادية الشاذة الظالم أهلها والكافرة بربها وحسابه، والسادرة في غي جهالتها العمياء وفي تحديها لخالق الأرض والسماء، الغارقة في مستنقع فواحشها ورذائلها، والمصممة على استئصال البشرية وشحذ كل حديدة لنحرها وانتحارها، فما تركت لكم من خيار، فالمعادلة مع هذا الشذوذ الحضاري الغربي حدية إلى أقصى الحدود لا تقبل أنصاف الحلول، إما أن تستأصلوه أو يستأصلكم!

معاشر المسلمين، أبناء خير أمة أخرجت للناس أصحاب رسالة الإسلام العظيم، وشهادة الحق على العالمين، أنتم طوق نجاة العالم وخلاص البشرية، فإسلامكم العظيم بناء تامُ الصِنْعَةِ، رؤيته أساسها عقيدة قطعية يقينية، قاعدته يقين حق ومعياره يقين حق، متجاوِزٌ لعدمية المادة إلى خالق المادة ومدبر أمرها الخبير العليم، وهذه الرؤية المستنيرة تعطي الإنسان تصورًا حقيقيًّا للحياة الدنيا، فيراها على حقيقتها وجود له ما قبله وما بعده له، سببه وغايته ومصيره، فيصبح لوجوده وحياته سبب ومعنى وغاية ويرتقي إلى سموه الإنسان تكريمًا بالسير على بصيرة وهدي خالقه وبارئه.

معاشر المسلمين، معشر الأتقياء الأنقياء وشباب هذا الحزب الأمين حملة دعوة الإسلام العظيم، هي معركتكم الفاصلة، هو الزمان زمانكم، زمن المفاصلة، زمن الابتلاء، زمن الفسطاطين، زمن الفصل والحسم هو زمن الملحمة. فشذوذ الغرب الحضاري تعفن ونتن وحان زمن استئصاله، وما لهذا العالم المنكوب البائس إلا أنتم لإخراجه من حيرته وضلاله، ولن يكون إلا باسترجاع سلطانكم المغصوب أولًا، وتحكيم شرع ربكم بإقامة أمر إسلامكم ببيعة رجل منكم يُحَكِّمُ فيكم كتاب ربكم وسنة نبيكم ﷺ، ويُعِيد فيكم سيرة الصحب الكرام الراشدين خلافة راشدة على منهاج النبوة، تقيم أحكام القرآن بعد هَجْر وتحيي سنة المصطفى الهادي ﷺ بعد موات، وتستأنفون حياتكم الإسلامية العزيزة بعد انقطاع، وتحملون دعوة الإسلام العظيم نورًا وهدى للعالمين، فتَصِلُوا الأرض بالسماء ليرضى عنكم رب الأرض والسماء.

﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ﴾■

بسم الله الرحمن الرحيم

العقيدة في نشأة الكون ونظرية الانفجار الكبير (١)

أيمن صلاح - الأرض المباركة فلسطين

وُجِدت مسألةُ نشأة الكون وما فيه، هل للكون بداية أم هو أزلي؟ منذ أن وجدت الفلسفة ووجد الفلاسفة. ووجد فريق يؤمنون بوجود خالق للكون، وفريق يقولون بأزلية الكون والحياة. وكان المسلمون يؤمنون بالخالق الواجب الوجود بالتفكير العقلي بالكون والإنسان والحياة كما وجههم القرآن. أما في الغرب فكانت الكنيسة تفرض على الناس الإيمان بالخالق بدون التفكير العقلي. ولما حصل فصل الدين عن الحياة ظهرت المسألة على الساحة العلمية، وأراد العلماء حلها بالطريقة العلمية، فوجدت نظرية الانفجار الكبير والتطور كتفسير لنشأة الكون ونشأة الحياة على الأرض. وبقي فريق العلماء الملحدين يقولون إن كل ما هو موجود مادي، وإن أي شيء غير مادي لا يدركه العلم لا وجود له، فتمسكوا بأن العلم لا يثبت وجود الخالق وتمسكوا بأن الكون أزلي. وحديثًا، أراد فريق من المفكرين المسلمين أن يستخدموا الطريقة العلمية والنظريات العلمية التي وضعها علماء الفيزياء والفلك عن نشأة الكون ليثبتوا وجود الله وصحة العقيدة الإسلامية، فساروا على طريقة العلماء الخَلقويين وأوَّلوا كثيرًا من الآيات لتوافق النظريات العلمية. فأنتجوا أفكارًا تخالف العقيدة الإسلامية؛ لأن هذه الطريقة في البحث مخالفة لطريقة التفكير العقلي ومخالفة لواقع القرآن وطريقة الاستدلال.

مقدمة:

من المسائل التي كثر الجدل بشأنها منذ أن وجدت الفلسفة ووجد الفلاسفة هي مسألة نشأة الكون، كيف نشأ الكون وما فيه؟ هل للكون بداية أم هو أزلي؟ ولماذا وجد الكون والحياة والإنسان؟ هذه الأسئلة هي الأسئلة الوجودية التي تشكل العقدة الكبرى عند الإنسان، بالإضافة إلى الأسئلة عن الحياة، ما هذه الحياة وماذا بعدها، وما علاقة هذه الحياة بما قبلها وما بعدها؟! وهي أسئلة طبيعية عند كل فرد وصل مرحلة النضج العقلي. والوصول إلى الإجابات المقنعة للعقل والموافقة للفطرة سهلة ميسورة لكل من لم تتلوث فطرته بخزعبلات الفلاسفة؛ ولكن الفلسفة والفلاسفة وضعوا افتراضات كثيرة وأوجدوا جدلًا كبيرًا في المسألة. وكان الجدل يدور بين فريق

يقول بأن الكون مخلوق لخالق، وفريق يقول إن الكون أزلي والحياة أزلية. وعند التفكير العقلي بالكون والإنسان والحياة يحصل الإيمان بالخالق الواجب الوجود، الذي يتصف بصفات الجلال والكمال الواجبة له كالوحدانية والألوهية والعلم والقدرة، وبالتفكير العقلي نعلم أن الخالق لا يجوز أن يتصف بأي صفة نقص كالحاجة لغيره أو مماثلته لخلقه. والإيمان بهذه الطريقة يحل العقدة الكبرى ويقنع العقل ويوافق فطرة الإنسان ويملأ القلب طمأنينة فلا يحتاج بعد ذلك إلى أدلة أخرى ولا يتسرب إليه الشك؛ ولذلك لم يكن هذا الجدل هو الشائع في الساحة الإسلامية، فالتفكير العقلي الذي يأمر به الإسلام كان كافيًا ليسكت كل الأفكار الإلحادية. أما في الغرب فكان رجال الدين يقولون بوجود الخالق بالتسليم وبدون التفكير العقلي، ولا ينزِّهون الخالق عن صفات النقص كالحاجة إلى الولد والتجزؤ (أب وابن وروح القدس)، وكانوا يمنعون التفكير العقلي الصحيح في أمور الدين كلها ومنها الإيمان بالخالق. وكل من يتفكر في أمور الدين كان يضطهد؛ ولذلك بقي الصراع على أشده حول هذه المسألة في الغرب، حتى إن كثيرًا من المفكرين والعلماء الغربيين كانوا يهتدون إلى وجوب وجود الخالق؛ ولكنهم يعتقدون أنه غير إله الكنيسة الذي يتصف بصفات النقص، ويقال إن نيوتن عالم الفيزياء الشهير كان من هذا الاتجاه.

وقد زاد الجدل في هذه المسألة في العقود الماضية ومنذ قرن تقريبًا في الدول الغربية مع ظهور المادية العلمية، وذلك بعد أن حصلت ثورة علمية في كافة المجالات، وأصبح العلم يحل كثيرًا من المشكلات، وارتضت المجتمعات الغربية فصل الدين عن الحياة، وتحييد رجال الدين عن أي معرفة أو فكر خارج الكنيسة، وكذلك عندما تمكن الملحدون الماديون وعلى رأسهم الحزب الشيوعي من إقامة دولة على أساس الفكر الإلحادي المادي. وأصبحت النظرة السائدة في الأوساط الفكرية والعلمية أن كل ما هو موجود مادي وأن أي شيء غير مادي لا وجود له. فظهرت في الغرب عدة تيارات على أساس فكرة كيفية نشأة الكون، فريق المؤمنين بالخالق بدون بحث فكري وهم أتباع الكنيسة، وفريق المؤمنين بأزلية المادة وأزلية الكون وعدم الحاجة لوجود خالق، وهم الملحدون الماديون، وفريق ثالث يجعلون العلم بمنزلة الإله، فلا يؤمنون إلا بما يستطيع العلم إثباته؛ ليصبح العلم بحد ذاته عقيدة فلسفية لها نظرة خاصة عن الكون والإنسان والحياة، رغم أنهم كثيرًا ما يعتمدون على تفسيرات فلسفية غيبية (غير علمية) لبعض المشاهدات. ومنشأ هذه الآراء هو عدم وجود الإجابات المقنعة

من رجال الكنيسة، والنظرة القاصرة للحياة المادية التي أوصلت البعض إلى عدم التصديق إلا بالأشياء المحسوسة، فأراد العلماء أن يجدوا بالطريقة العلمية جوابًا للمسألة، يتم صياغته على شكل نظريات علمية تفسر وجود الكون والحياة.

نظرية الانفجار الكبير

كانت النظرية العلمية السائدة حول الكون ونشأته هي نظرية الكون المستقر وهي تقول إن له شكلًا كرويًا، وأن الكون ثابت منذ أن وجد، ولا يزال كذلك وسيبقى على ما هو عليه. وهذه النظرية تقرُّ بأن الكون محدود ويحتاج إلى خالق. وهناك نظرية الكون النواسي أو الكون المتذبذب (Oscillating universe) وهي تقول إن الكون ينفجر ويتوسع ثم يستنفذ طاقته في التوسع وتغلب عليه قوى الجاذبية فيعاود الانكماش، ثم ينفجر من جديد وهكذا، وعليه يعتبر الكون أزليًا بحسب هذه النظرية. وهناك نظرية الخلق المتجدد. ثم ظهرت نظرية توسع الكون والانفجار العظيم؛ حيث وجدت مشاهدات فُسرت على أن الكون يتوسع، وأن المجرات تتباعد عن بعضها، وقد بدأ الحديث في هذه النظرية في ١٩٢٩م[١].

تقول نظرية توسع الكون إن تباعد المجرَّات ليس بسبب حركتها باتجاهات مختلفة، ولكن المكان الذي هي فيه يتوسع وبالتالي تزيد المسافة بين المجرات. لم يشاهد العلماء المكان (الكون) يتوسع، ولم يشاهدوا المجرَّات تبتعد عن بعضها، ولم يلاحظوا زيادة المسافة بين النجوم؛ ولكنهم قالوا ذلك من تحليل طيف الضوء القادم من النجوم والمجرَّات البعيدة؛ حيث لاحظوا انزياح الطيف المرئي للضوء من البنفسجي الأزرق إلى الطيف الأحمر، واستنتجوا من ذلك أن مصدر الضوء يبتعد عنا، أي أن النجوم والمجرات تبتعد عنا. ثم قالوا بما أن الكون يتوسع اليوم فلابد أنه كان في السابق أصغر مما هو عليه اليوم، وأن النجوم والكواكب كانت متقاربة أكثر مما هي عليه اليوم، ورسموا تصورًا زمنيًا عكسيًا للتوسع تكون فيه المجرات متقاربة ثم متقاربة أكثر إلى أن تجعلها الجاذبية كتلة واحدة، ثم إن شدة الجاذبية تضغطها لتجعل مادة الكون صغيرة جدًا وكثيفة جدًا وسُميت بالمنفردة، وقد قَدَّروها في البداية بحجم البيضة، أو بحجم رأس الدبوس، ثم قدرها بعضهم بحجم الذرَّة أو لا شيء، وآخر التقديرات أنها جزء من مليون مليار مليار مليار من السنتيمتر، أي أقل من $١٠^{-٣٣}$ سم، وهو ما يسمى في الفيزياء طول بلانك. واختلف هؤلاء العلماء في تقدير عمر الكون، أي الوقت الذي كان فيه الكون على هذه الحالة، فقدَّروها أولًا بـِ ٢٥ مليار سنة،

(١) أول من قال بهذه النظرية هو عالم الفلك الأمريكي إدوين هابل (Edwin Hubble).

ثم ظهرت عدة تقديرات إلى أن وصلت إلى ١٣,٧ مليار سنة. ويقول هؤلاء العلماء إنه في لحظة ليس لها أمس (أي لحظة الصفر لأنه لم يكن الزمان والمكان موجودًا) انفلقت أو انفجرت المنفردة ذات الكتلة متناهية الصغر عالية الكثافة لتتباعد أجزاؤها، ثم تتكون منها الذرات والنجوم، ثم تتكون العناصر والمركبات. وأطلق على نظرية نشأة الكون بهذه الطريقة مصطلح الانفجار العظيم أو (Big Bang) في ١٩٤٨م، علمًا أن الذين أطلقوا هذا الاسم لم يكونوا من المقتنعين بهذه النظرية وإنما أطلقوا الاسم من باب السخرية والتهكم؛ ولكنه أصبح هو الاسم الشائع للنظرية[٢] . واستمر العلماء بالبحث عن دلائل علمية تدعم هذه النظرية، فظهرت لهم مشاهدات متعلقة بالأمواج الدقيقة الصادرة عن الإشعاعات الخلفية الكونية في ١٩٦٥م، وبقايا الفوتونات والهيليوم التي اعتبروها دلائل على صحة نظرية الانفجار الكبير. يذكر أن هناك نظرية أخرى وضعت كبديل لنظرية الانفجار الكبير وهي نظرية الكون الثابت والخلق المستمر وهي تقول بأزلية الكون، وقد شاعت هذه النظرية في منتصف القرن العشرين، وانتهت هذه النظرية بموت القائلين بها وعدم تجدُّد أنصارها مع نهاية القرن العشرين.

ثم افترض القائلون بالانفجار الكبير أن هناك أشياء وجدت في اللحظات الأولى للانفجار الكبير ولا وجود لها في الكون اليوم لكن وجودها كان مرحليًا مثل جسيمات النيوترينو والكواركات والمادة ومضاد المادة، وكذلك قام القائلون بالانفجار الكبير بحساب سرعة تمدُّد الكون في كل مرحلة، ودرجات الحرارة والضغط وغيرها من المتغيرات الفيزيائية. واقترحوا آليات لتكون الذرات والعناصر في قلب النجوم، فعلى المستوى تحت الذري قالوا إنه كان هناك جسيمًا يسمى نيوترينو نتج من أول انفلاق للكتلة متناهية الصغر ثم كان يتفكك ليعطي بروتون وأليكترون. وكذلك قالوا إنه كان هناك المادة ومضاد المادة ويحصل بينهما. ونتيجة ذلك حصلت سلسلة تفاعلات واندماجات نووية أنتجت الذرات والعناصر. ووضعوا تفاصيل كثيرة ودقيقة فيها كثير من التكلُّف لعملية تكوُّن كل ما في الكون، وعندما كان يبرز أمر يصعب تفسيره أو عقبة في سير العملية تجدهم يضعون افتراضات لملء الفراغ في تسلسل الأحداث على نحو يتوافق مع تلك القوانين قدر المستطاع، ويتجاوز تلك العقبات قدر الإمكان.

ومن الواضح أن نظرية الانفجار الكبير التي وُضعت لتفسر نشأة الكون وتطوُّره وفق قوانين الطبيعة، تدل بشكل واضح أن للكون بداية،

(٢): الذي أطلق هذه التسمية هو السير فريد هويل وأطلق التسمية من خلال برنامج إذاعي لراديو بي بي سي الذي تم بثه في 28 مارس 1949.

وكل ما له بداية فلابد أن يكون له نهاية؛ لذلك قام العلماء بتوقع السيناريوهات للتغيرات التي ستحدث في الكون في المستقبل إلى حين انتهائه، فإنهم قالوا إن قوانين الطبيعة والفيزياء تعمل اليوم على توسيع الكون، وستستمر هذه القوانين بالعمل، وستكون هناك عدة احتمالات في المستقبل، فإما أن يستمر الكون بالتوسع إلى ما لا نهاية، أو أن الجاذبية سيكون لها دور في وقف التمدُّد وأن الكون سينتهي بانسحاق عظيم معاكس للانفجار العظيم أو سيأفل وينكمش ويتلاشى تدريجيًا.

ويعتبر علماء الفلك والحياة الذين يقتنعون بنظرية الانفجار العظيم إن هذه العملية جزء من نظرية متكاملة لنشوء الكون والحياة وتطوُّرها، ولا يجزئونها، فيعتبرون إن للتطور معنى واسعًا شاملًا حصل في عدة أحداث كبرى متتابعة زمنيًا ويمكن تقسيمها إلى ما يلي: ١- التطوُّر الفيزيائي الفلكي، وفيه نشأ الكون من عدم وتكوَّنت الأرض وتهيأت لتصبح صالحة للحياة، ٢- التطوُّر الفيزيائي الكيميائي، وفيه تكونت ذرات العناصر المختلفة وبدأت تتفاعل لتكون بعض المركبات الكيماوية، وهذان القسمان هما المتعلقان بنشأة مادة الكون وتطوُّرها، ٣- التطُّور البيولوجي، وفيه نشأت الحياة من مواد غير حية ثم تطوَّرت ونتج التنوع الهائل في الكائنات الحية من البكتيريا إلى الثدييات، ومنها ظهور الإنسان، وهذا القسم هو المشهور بالدارونِية. ويقولون إن الباحث في إحدى هذه القضايا لا يستطيع ولا ينبغي له أن يتجاهل الأحداث الأخرى، فهي متداخلة مترابطة وإن بدت كأحداث مختلفة ومنفصلة عند النظرة الأولى.

إن مسألة دلالة نظرية الانفجار الكبير على أن للكون بداية أعطت الشعور بالنشوة للاهوتيين؛ لذلك قال روبرت جاسترو عالم الفيزياء الفلكية في كتابه « الإله وعلوم الفلك»: بالنسبة للعالم الذي تعوَّد على الخطوات المنطقية يبدو وكأن قصة الانفجار الكبير تنتهي كحلم مزعج، لقد تسلَّق جبالًا من الجهل، وعندما وصل إلى الصخرة الأخيرة باتجاه القمة تم الترحيب به من قبل اللاهوتيين الذين يجلسون هنا منذ قرون[٣]. ومن هنا وجد صراع بين اللاهوتيين والعلماء والفلاسفة حول تفسير نشأة الكون وتفسير نظرية الانفجار الكبير. وقد أدى ذلك إلى تميز عدة عقائد أو عدة آراء ومواقف في الغرب حول نشأة وهذه النظرية، وأهمها ثلاثة:

١ .مدرسة الالحاد المادي العلمي واللاأدرية: وهم يقولون إن الكون نشأ من العدم تلقائيًا أو أنه قديم أزلي لا أول له،

(٣) هذا الاقتباس منقول من كتاب «لغة الله: العلم يقدم دليل الإيمان» لفرانسيز كولينز.

ثم تطوَّر وأصبح صالحًا للحياة بفعل الصدفة والعشوائية، فكل الأحداث المذكورة كانت صدفة، والانفجار العظيم بكلياته وتفصيلاته ونتائجه كان صدفة، وأن تشكُّل البيئة الملائمة للحياة على كوكب الأرض كان صدفة، وأن نشوء الحياة كان صدفة، وليس ثمة حاجة للقول بوجود خالق مريد، وليس ثمة غاية من هذا الوجود. فإن خصائص المواد الموجودة في كل مرحلة من مراحل تطور الكون والقوانين الفيزيائية هي التي أثَّرت في تطور الكون وتشكُّل النجوم والمجرات، ولو تغيَّرت تلك الخصائص ولو شيئًا يسيرًا فسيتبعه تغير في معدل اتساع الكون وفي شكل الموجودات في الكون.

٢. مدرسة الخَلقَويين الدينيين (من كلمة الخَلْق): وهم الذين يعتقدون إن الاله خلق جميع الموجودات خلقًا مباشرًا، فأنكروا نظرية الانفجار الكبير وأنكروا التطور البيولوجي. وهذه المدرسة هي امتداد لرأي الكنيسة وعلماء اللاهوت.

٣. مدرسة أو حركة «التصميم الذكي» "Intelligent Design Movement"[٤]: وهم يقولون بعجز الصدفة والعشوائية عن تفسير نشأة الكون والحياة. وإن الحياة على الأرض ونشوء الكون لم يكن بالإمكان أن يحصل إلا بعد ضبط دقيق وتعيير بالغ الدقة من مصمم ذكي لمجموعة كبيرة من الثوابت الفيزيائية الأساسية؛ بحيث لو اختلَّت هذه المعايير أو بعضها ولو اختلالًا يسيرًا فإنه لم يكن لينتج هذه النسيج الكوني، ولم يكن بالإمكان أن تنشأ هذه الأصناف العديدة من العناصر الكيميائية في قلب النجوم. فهم يقولون لابد من وجود مصمم ذكي (خالق) استخدم قوانين الطبيعة في خلق الكون والمادة الحية، والكائنات الحية الأولية، ثم جعل آلية التطور تعمل بتوجيه منه في تنويع الكائنات الحية حتى ظهر الإنسان. ويتفرَّع عن هذه المدرسة مدرستان: مدرسة التصميم الذكي والخلق الخاص ومدرسة التصميم الذكي والتطور الموجه.

وقد رد أنصار مدرسة الإلحاد المادي العلمي على فكرة التصميم الذكي بأنه لو تم الخروج عن ذلك الضبط لما امتنعت إمكانية وجود حياة ونظام كوني على شكل آخر غير الذي نعرفه. وقد أصبح رأي مدرسة الإلحاد المادي العلمي والعشوائية عن نشأة الكون بالانفجار الكبير والتطوُّر البيولوجي للمخلوقات الحية هي العقيدة العلمية في الجامعات الغربية، تملك السلطة وتحكُم على العلماء المخالفين

(٤): يتزعم هذه المدرسة في الغرب فرانسيز كولينز عالم البيولوجيا الجزيئية في أمريكا ورئيس مشروع الجينوم البشري الذي أعلنت نتائجه في 2003.ومؤلف كتاب «لغة الله: العلم يقدم دليل الإيمان». وستيفن ماير وله عدة مؤلفات في الموضوع منها «شك داروين" و"توقيع في الخلية" و" التصميم الذكي: فلسفة وتاريخ النظرية".

بالهرطقة والحرمان. ويلاحق العلماء الذين يُدَرسون مفهوم الخلق ونظرية التصميم الذكي في المحاكم، وقد حصلت عدة محاكمات في أمريكا بهذا الخصوص في الفترة (١٩٦٧-٢٠٠٥)م. وقد ذكر عشرًا من هذه المحاكمات الكاتبان مولين ماتسومورا ولويز ميد في مقال منشور على صفحة المركز الوطني لتعليم العلوم (National Center for Science Education) في أمريكا بتاريخ ٢٠١٦/٦/٦م. والمقال بعنوان عشر قضايا محكمة كبرى حول التطوُّر والخلق « Ten Major Court Cases about Evolution and Creationism». وفي بداية هذه القضايا في ١٩٦٨م أبطلت المحكمة العليا للولايات المتحدة قانونًا أساسيًّا في أركنساس يحظر تدريس التطور من المنظور الداروِني. ثم أصبحت المحاكم تقضي بمنع تدريس نظرية الخلق والتصميم الذكي واعتبرت أن الخلق والتصميم الذكي مفهوم ديني وليس علمًا ومن ثم منعت تعليمه في المدارس. وقد تمَّ طرد غير واحد من العلماء من وظائفهم لرفضهم عقيدة النشوء العشوائي للكون والكائنات الحية وتبنيهم نظرية الخلق والتصميم الذكي، واتهموا بالإرهاب الثقافي، وقد وردت قصص بعضهم في ٢٠٠٨م، في الفيلم الوثائقي «المطرودون: لا يُسمَح بالذكاء» (Expelled; No Intelligence Allowed). وأصبح أنصار المادية والعشوائية يتحكَّمون في منح الشهادات والجوائز[٥] والتوظف والترقية وإقامة المؤتمرات ودعم الأبحاث ماديًا ونشر نتائجها في المجلات المحكمة. بالإضافة لامتلاكهم القدرة على التأثير على الرأي العام وعوام الناس من خلال وسائل الإعلام، وذلك بتصميم برامج ثقافية تعليمية وإنتاج الأفلام الوثائقية التي تروِّج لهذه النظرية كحقيقة مسلم بها مثل البرامج والأفلام التي تصدرها مجلة ناشيونال جيوغرافيك الأمريكية. وكذلك من خلال برامج الترفيه مثل مسلسلات وأفلام الخيال العلمي التي تروج للنظرية.

وقد أدى الإرهاب العلمي من الماديين الإلحاديين إلى اندماج مدرسة الخَلقَويين مع مدرسة «التصميم الذكي والتطوُّر الموجه» وذلك عندما أعلن بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني عام ١٩٩٦م أن التطور لا يتعارض مع الكتاب المقدس إذا آمنا بأن الله هو الذي ينفخ الروح.

هذا ما كان في الغرب من نقاشات ونظريات، فما هو موقف المفكرين المسلمين من هذه الآراء والنظريات؟ هذا ما سنعرضه في البحث القادم.[يتبع]

(٥): فمثلًا حُرِم السير فريد هويل من جائزة نوبل لعدم قبوله لنظرية الانفجار الكبير بالإضافة لرفضه نظرية النشوء التلقائي لأصل الحياة على الأرض.

بسم الله الرحمن الرحيم

سياسة الديون الربوية الخارجية سياسة جاهلية غربية رأسمالية متوحشة تستعبد الحكومات والشعوب.

الكاتب: محمد راجح - اليمن

كان الناس في الجاهلية الأولى قبل مجيء الإسلام يستعملون الربا في استعباد الناس واسترقاقهم، فكان المدين منهم إذا لم يستطع أن يسدد ما عليه من دين إلى الأجل المتفق عليه يتضاعف عليه الدين مع زيادة مدة السداد وهكذا حتى يأتي يوم يبيع فيه المدين نفسه أو ولده إلى الدائن فيصبح بعد ذلك عبدًا يباع ويشترى كما تباع الشاة والبعير؛ وبذلك أصبح الربا وسيلة من وسائل استرقاق الناس والهيمنة عليهم وسلبهم حقوقهم.

أما في جاهلية هذا العصر الذي نحن فيه فإن الأمر لا يختلف عن ذي قبل بل هو أدهى وأمرُّ وأشدُّ وطئًا على الشعوب والمجتمعات والدول وخاصة المسلمين؛ إذ أصبح الربا لا يستعبد أفرادًا، بل تُسترقُّ وتُستعبدُ فيه شعوب، وتُستعمر فيه دول، وتُرهن بلدان للأجنبي، ويُرهن القرار السياسي فيها للدول الدائنة وتفقد استقلالها، ويحل بالناس الفقر والجوع وضنك العيش، وتتحمل المجتمعات أعباءً ترزح تحتها أجيال يدفعون أثمانها من حياتهم ونمط عيشهم دون ذنب يذكر ولا سابق جريرة؛ لأن الربا لا يقوم به أفراد حتى يكون أثره محدودًا، بل هناك كيانات ومؤسسات مالية كبرى تتولَّى كبره فتنشره ذات اليمين وذات الشمال. فما من دولة ولا منطقة في هذا العالم وفيها بنك أو مؤسسة مالية أو مصرف مالي إلا وهو قائم على الربا، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «**يأتي على الناس زمان يأكلون الربا، فمن لم يأكله أصابه غباره**» رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

إن المبدأ الرأسمالي الذي تحمله دول الكفر الغربية هو سبب المشكلات والأزمات في هذا العالم، وهو الذي يمنع حلها إلا على طريقته، فهو من أوجد مشكلة الديون الخارجية الربوية، وأوجد مؤسسات مالية تقوم بهذا الدور الخبيث لاستعمار الدول والشعوب؛ إذ تعد الديون الربوية الخارجية من أهم الأدوات والآليات في النظام الرأسمالي التي تدعم هيمنة البلدان الرأسمالية في تنفيذ استعمارها للشعوب، ويعتبر كل من صندوق النقد والبنك الدوليين هما من أهم الأذرع المالية التي تستخدمهما الدول الكبرى للهيمنة على اقتصاد العالم. فبعد أن توغلت تلك المؤسسات المالية في معظم دول العالم،

ربطت الدول الكبرى الاستعمارية اقتصاد تلك الدول باقتصادها وجعلت الربا عصب اقتصاد تلك البلدان في بنوكها المركزية التجارية، واستعانت بالمتنفِّذين ومن يملكون القرار في تلك البلدان، ورسمت سياسات لهم تربطهم بقروض ربوية تغرق بلدانهم بدوَّامة ديون يعجزون عن سدادها؛ فلصبح تلك البلدان فريسةً في يدها تفترسها دون حراك وتمتص ثرواتها وتحرم الناس منها.

عادةً، يقوم صندوق النقد الدولي بوضع برنامج الإصلاحات المالية والاقتصادية للدول المستدينة، فيكون هذا بمثابة جرعات مُمِيتة تجعلها خاضعة تابعة للجهات الدائنة، ويتم الإقراض بعد إرسال الصندوق متخصصين بالاقتصاد وخبراء دوليين يقومون بدراسة وضع البلدان التي تريد الاستدانة لمعرفة قدرة البلد المالية والإحاطة بأسرارها الاقتصادية فيعرفون مواطن القوة والضعف أكثر من أهل البلد نفسه. ويظهر صندوق النقد الدولي نفسه أنه يريد مصلحة الدولة التي تريد القرض، وأنه يريد تصحيح وضع هذا البلد المالي والاقتصادي؛ ولكي يضمن سداد القرض إليه يتبع سياسة معينة لا رحمة فيها. وهذه السياسة تتضمن شروطًا تساهم في إغراق البلدان المدينة في بحر العجز عن سداد الديون، وعلى أن تصرف هذه القروض في مشاريع معينة هي في الغالب مشاريع استهلاكية غير إنتاجية أو مشاريع وهمية ترفيهية أو مشاريع لبناء البنية التحتية غير الإنتاجية. وتتلخص هذه الشروط التي يضعها الصندوق مقابل القروض بالآتي:

* **حرية التجارة وحرية صرف العملات:** أي رفع القيود عن الاستيراد من الدول الأخرى والذي يؤدي إلى إغراق الأسواق المحلية بالبضائع المستوردة؛ فتفقد الصناعات المحلية قدرتها على المنافسة مما يؤدي إلى إفلاسها وتعثر الأنشطة الاقتصادية المحلية؛ وبذلك لا تجد السلع المستوردة منافسًا لها، أي تصبح الأسواق المحلية أسواقًا مستهلكة لها. وإذا تم اعتماد الاقتصاد على الاستيراد فإن هذا يؤدي إلى نضوب الموارد المالية ويزداد التضخم نتيجة الركود الاقتصادي أو بيع الأصول الاقتصادية إلى الشركات العالمية بحجة الإصلاح الاقتصادي فتصبح هذه الدول في تبعية دائمة للدول الكبرى الاستعمارية. أما حرية الصرف فإنها ستؤدي إلى نضوب خزينة الدولة من الذهب والعملات الصعبة. ولاشك أن هذه السياسة تؤدي إلى تحطيم اقتصاد الدول المدينة وأنظمتها المالية.

* **تخفيض صرف العملة مقابل الدولار:** هذا يؤدي إلى ارتفاع أسعار السلع بسبب انخفاض القيمة الشرائية للعملة المحلية وعدم قدرة الدولة على منافسة صادرات الدول الأخرى من البضائع في الأسواق. إن سبب قلة صادرات الدول المدينة هذا يؤدي إلى بيع

طاقات وثروات الدولة المدينة من المواد الخام والمنتجات الزراعية إلى الدول الصناعية الاستعمارية بثمن بخس.

* **تقليص نفقات الدولة لرفع الأعباء عن الميزانية:** ويكون ذلك بتقليص النفقات وتجميد الأجور وتخفيض أو إلغاء المصروفات والخدمات التي تقدمها الدولة للناس في مجال الحاجات الأساسية من الغذاء والملبس والمسكن والتعليم والتطبيب مما يؤدي إلى تدهور الأوضاع الاجتماعية فتزداد نسبة الفقر والغلاء والمرض، ولا يستطيع الناس تأمين حاجاتهم الأساسية للمعيشة.

* **زيادة أسعار المحروقات** الذي يؤدي إلى زيادة أسعار السلع والمواد الضرورية نتيجة ارتفاع المواصلات، وهذا يؤدي إلى غلاء في المعيشة وركود في الاقتصاد وتضخم في قيمة العملة المحلية.

* **زيادة فرض الضرائب على الناس وزيادة رسوم مؤسسات الدولة والخدمات العامة** لرفد ميزانية الدولة؛ وهذا يزيد من عناء الناس فتكثر الجباية من الدولة وتقل الرعاية.

* **الخصخصة:** وهي من أخطر السياسات التي يفرضها صندوق النقد الدولي؛ إذ تقوم الدول المدينة ببيع المؤسسات والمنشآت العامة للقطاع الخاص لتمويل الميزانية؛ فعند ذلك تسرح العمالة وتزداد البطالة وترتفع أسعار السلع والخدمات والذي من شأنه أن يحمل الناس فوق طاقاتهم.

* الاستثمار الذي يؤدي إلى دخول رؤوس الأموال الأجنبية إلى الدول المدينة فيضربون الصناعات المحلية، ويشترون ذمم كثير من المتنفذين والسياسيين في الدول المدينة لتحقيق أهدافهم والسيطرة عل مختلف الموارد الطبيعية والأصول الاستراتيجية المختلفة للبلاد بحجة الاستثمار.

إن هذه الشروط والسياسات التي يضعها صندوق النقد الدولي هي في حقيقة الأمر حزمة مسمومة ملعونة تركع الدول المدينة وتمتهنها وتفتح أسواقها لبضائع ومنتجات الدول الاستعمارية بأسعار عالية وتجعلها أسواق مستهلكة. كما أنها تدفع هذه الدول للتخلي عن مسؤولياتها الأساسية تجاه المواطنين برفع الدعم عن السلع الأساسية وتثقل كاهل الناس بالضرائب والرسوم وخفض الإنفاق على الخدمات الأساسية من تعليم وتطبيب ورعاية شؤون الناس لدعم ميزانية الدولة لتتمكن من سداد الديون؛ وهذا يؤثر بدرجة أولى على الفقراء؛ فلا يستطيعون تحمُّل عواقب ذلك؛ مما يؤدي إلى قيام احتجاجات شعبية وثورات تطالب بتغيير الأنظمة، وتقوم الدول الكبرى المتصارعة فيما بينها على مصالحها باستغلال ذلك عبر ما يسمى بمنظمات المجتمع المدني التي تدعمها الدول الكبرى صراحة لتدخل في النسيج السياسى لصناعة عملاء أو تثبيت حكام

أو اقتلاعهم حسب قوة تأثير الدول الكبرى المتصارعة.

إن الديون الخارجية الربوية تجعل الدول المدينة تابعة للدول الدائنة: تحافظ على مصالحها وتحرسها، وتتخذ مواقف متفقة مع مواقفها كالتصويت على قرارات الأمم المتحدة المختلف عليها، وتسمح بإقامة قواعد عسكرية على أراضيها، وتنفذ كل أوامرها.

إن سياسة الديون الخارجية هي سياسة استعمارية بوجه جديد لإغراق الدول بالديون التى تدمر اقتصاد الدول المدينة عند ارتباطها باقتصاد الدول الاستعمارية فلا تساهم في نمو اقتصاد الدول المدينة ولا ترتقي بالإنتاج بل تزيد المديونية العبء والتخلف وتتخذ من هذه الديون وسيلة للهيمنة على اقتصادات الدول المدينة والتحكم بأنظمتها السياسة والاجتماعية دون حروب أو احتلال؛ لذلك تعد هذه الديون من الأساليب الاستعمارية للدول والشعوب.

كما أن للحكام العملاء الفاسدين في الدول المدينة الدور الأكبر في هذه المديونية الخارجية كونهم يسيرون في كل سياساتهم حسب إملاءات الدول الاستعمارية التي تتحكم فيهم؛ فيعملون على إغراق دولهم بالديون الخارجية لمصلحة هذه الدول الاستعمارية الداعمة لهم في تسلطهم على حكم الشعوب المغلوبة على أمرها... إن هؤلاء الحكام، وخاصة حكام المسلمين، فاسدون ينهبون المال العام ويجمعون الثروات الطائلة ويودعونها في بنوك الغرب أو أمريكا خارج البلاد باعتبار أنها الملاذ الآمن لهم عند أي خطب يحل بهم أو ثورة جارفة تقتلع شأفتهم. فكل أموال المسلمين في يد أعدائهم... فبلاد المسلمين مستباحة من قبل الغرب الكافر وحكامهم الفاسدين، والشعوب المقهورة يكويها الفقر والجوع والمرض الذي يهدد حياتهم.

أما البنك الدولي، فإنه يدعم ما يسمي (بناء البنية التحتية) ويركز على الثروات السيادية من أجل استثمارها كما يزعم؛ ولكنه في حقيقة الأمر ينتقي المشاريع التي لا تعود بالربح على الدولة حتى لا تتمكن من سداد ما عليها من قروض، مثل مشاريع المحافظة على التراث أو المحافظة على السياحة أو الصحة الإنجابية (تقليل عدد السكان) وغيرها.

أما المشاريع الضخمة الاستراتيجية فإن البنك الدولي لا يقوم باستثمارات الإ إذا كانت فيها شركات غربية (متعددة الجنسيات) ثم يغرق البلدان بالديون ويعطِّل عجلة التنمية ويساعد على نهب ثروات الأمة.

إن سياسات المؤسسات المالية سياسات كارثية إجرامية لا تخفى على أحد، فمن بشاعتها أنها حركت مشاعر بعض خبراء الاقتصاد الغربيين الذين لهم علاقات وثيقة بتلك المؤسسات والذين طفح بهم الكيل،

وهذه نماذج من تصريحاتهم:

- **لقد أشار ستغلتز** الذي شغل منصب نائب رئيس البنك الدولي ورئيس القسم الاقتصادي «إلى أن الأركان الثلاثة لسياسة (توافق واشنطن) والتي اعتبرت بمثابة الحل السحري للأزمات المالية والاقتصادية في دول الجنوب العالمي. فمهما اختلفت أنواعها وأساليبها هي التقشف في السياسات الاتفاقية والضرائبية والخصخصة ولبرلة أو انفتاح الأسواق المحلية وسوق المال بصورة خاصة وقد ذكر ستغلتز في كتابه (خيبات العولمة) إن هذه المؤسسات أصبحت بمثابة مقدسات مطلقة لدى المؤسسات المالية الدولية في تلك الفترة؛ إذ طبقت كوصفات تلقائية من دون الاكتراث للسياق الاقتصادي او لتداعياتها على أرض الواقع ما أدى إلى نتائج كارثية في الدول النامية، فكان الصندوق يقر على الخصخصة في أقصر وقت ممكن كوسيلة تحفيز القطاع الخاص؛ ما أدى فعليًّا إلى تبديد الثروات العامة وتركزها في أيدي فئات وشركات مقربة من الطبقات السياسية الحاكمة التي تريد عملية الخصخصة أي من دون أن تنال الدولة شيئًا من الإفادة الموعودة من هذه العملية.

- **وكتب لاري إليوت** في صحيفة (الجارديان): وبالطبع لا يعترف البنك الدولي ولا صندوق النقد الدولي أن سياستهما هي المشكلة حتى لو أثبت باحثون أن هذه المؤسسات الدولية هي في الواقع أكبر صنَّاع الفقر في أفريقيا. فمنذ سبعينات القرن الماضي أصبحت المؤسستان، اللتان تتخذان من واشنطن مقرًا لهما، المهندس الرئيسي للسياسات المسؤولة عن انعدام المساواة وتفاقم الفقر في العالم خاصة أفريقيا.

- **كما وصفت المسؤولة السابقة للأمم المتحدة للتنمية إيزابيل غرامبرغ** السياسات التي يفرضها الصندوق على الدول الأعضاء لاسيما النامية منها، والتي تؤدي في كثير من الأحيان إلى ارتفاع معدل البطالة وإلى انخفاض القدرة الشرائية... فإنها تؤدي إلى تبعية خاصة غذائية يضاف إليها تفكك للأنظمة الإنتاجية واصفة هذه الأمور بالجريمة، معتبرة أن صندوق النقد الدولي ليس مشاركًا فيها فحسب، بل إنه المايسترو الذي يدير نظامًا شاملًا يسحب الأموال من الفقراء ليموِّل إنفاق أقلية غنية.

وكما وصف الخبير الألماني أرنست غولف أستاذ الفلسفة في جامعة بريتوريا في كتابه (صندوق النقد الدولي قوة عظمى في الساحة العالمية) أن تدخلاته في الواقع أشبه ما تكون بغزوات جيوش متحاربة.

وذكر جون بيركينز في كتابه (الاغتيال الاقتصادي للنظام الدولي الأمم المتحدة) أن صندوق النقد الدولي هو إحدى أدوات الشركات العالمية لبناء إمبراطورية تسيطر على اقتصاد العالم وتزعزع الدول، وتنهب وتدمر اقتصاد الدول النامية.

لقد وصف هؤلاء الخبراء حجم المأساة التي تسبَّبت فيها المؤسسات المالية؛ ولكن ما هو أقوى وصفًا وأكثر تعبيرًا لرسم حجم المعاناة هو الحياة التي يعيشها الناس في كل ساعة وحين، فقد رفعت الدول يدها عن كل الخدمات وتقديم أي نوع من الدعم للسلع الأساسية والخدمات؛ فصارت الحياة قطعة من نار الجحيم المتصاعد لهيبه، ولم يبقَ إلا أن يأكل الناس بعضهم بعضًا.

إن النظام الربوي نظام جائر يحارب الله، ويجلب الفقر والجوع وتسلط الأعداء والعملاء؛ فيجب على المسلمين بل البشرية قاطبة أن يحاربوا الربا، وأن يدركوا أن سببه هو النظام الرأسمالي الذي يشرع الربا وتابعه النظام الدستوري الذي يشرع الربا ويحكم البلاد الأخرى، وخاصة بلاد المسلمين، من قِبل من تبعهم من الحكام العملاء.

إن سياسات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية وغيرها من المؤسسات المالية هي عبارة عن واجهات اقتصادية للنظام الدولي الذي يسعى للسيطرة على شعوب العالم، وإن هذه الدويلات القطرية تبقى عاجزة عن مجابهة هذا النظام الدولي المتوحش، وهي إنما صُنعت ليكون دورها وظيفيًّا لتنفيذ هذه السياسات والسير في ركاب النظام الدولي.

فلم يبقَ لنا سوى خيارين لا ثالث لهما: إما الاستكانة للأمر الواقع والرضا بالفقر والجوع والمرض وضنك العيش وأن نكون في تبعية دائمة لأعدائنا ومن سار في ركابهم، وبهذا لن تستقيم حياتنا ولن نرضي ربنا ونكون قد خسرنا الدنيا والآخرة... أو الوقوف في وجه هذه السياسات بالمبدأ الربَّاني الذي أنعم الله به علينا وهو مبدأ الإسلام الذي يضمن لنا العيش الرغيد والحياة الكريمة.

إن الإسلام نظام يوزع الثروة ولا يجعلها تتركز بأيدي حفنة من البشر تتحكم بمصائر الشعوب وتذلها. وإن موقف الإسلام من الربا واضح، فقد حَّرمه الله تحريمًا باتًّا قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ ومهما كانت نسبته قليلة أو كثيرة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ...﴾ ومال الربا مال حرام قطعًا، ولا حق لأحد في ملكيته، وقد أعلن الله الحرب على آكله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ...﴾

وكل هذه الأحكام التي جاء بها الإسلام لن تطبقها الأنظمة العميلة التي خانت الله ورسوله والمؤمنين، وإنما تطبقه دولة الخلافة الراشدة الثانية التي وعدنا بها ربنا، وبشَّرنا بها رسولنا، والتي تكون قادرة على الوقوف في وجه هذا النظام الدولي الرأسمالي. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

المرأة وحمل الدعوة

نسيبة إبراهيم - ولاية الأردن

منذ أن أول نزول الوحي على نبينا محمد ﷺ وهو في الغار، برز دور المرأة واضحًا وفاعلًا؛ حيث رجع ﷺ إلى زوجه الوفية، المخلصة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وقصَّ عليها ما رآه في الغار، وما حدث بينه وبين جبريل عليه السلام، فأخذت تشدُّ من أزره وتثبته على الحق، وتفتح له أبواب الخير، وتبشِّره بالخير، وتهدِّئ من روعه وقالت له: «والله لا يخزيك الله أبدًا؛ لأنك تصل الرحم، وتكرم الضيف، وتساعد الكَلَّ، وتُعين على نوائب الدهر» فحوَّلت خوفه ورهبته إلى سكينة، وبشَّرته في ثقة أنه على الحق، ثم أخذته إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، تستوثق لزوجها مما رأى ليزداد ثقة، وليتأكد أن ما رآه هو خير وبشرى بمستقبل مشرق، فكانت أول من آمن به متحمِّلة بذلك عبء وتبعات الرسالة.

بهذا نبدأ ونوضح أهمية المرأة في حمل الدعوة وحمل تبعاتها، وخاصة عندما تعي أنها فرض على كليهما، الرجل والمرأة، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾.

وقد أولى الإسلام المرأة اهتمامًا كبيرًا ونظر إليها نظرة تكريمٍ واعتزازٍ، فاعتبرها أمًّا وربة بيت وعِرضًا يجب أن يصان، واعتبر أن النساء شقائق الرجال في تحمل مسؤوليات الحياة، وقد كلَّفها الله مع الرجل بمهمة الاستخلاف في الأرض، وتربية الأبناء وتنشئتهم رجالًا، يحملون الأمانة ويقودون الجيوش ويرفعون راية الإسلام. وجعلها على درجة واحدة مع الرجل، في التكريم والإجلال، وفي الثواب والعقاب: الثواب على القيام بالأعمال الصالحة، أو العقاب على ارتكاب المعاصي، فلكلٍّ منهما جزاء ما عمِل.

ويؤكد القرآن على هذا المساق في أكثر من موضع منها في سورة النحل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾.

وبإلقاء نظرة على حياة حاملة الدعوة في وقتنا الحالي، نجد أنها تحمل على عاتقها التعلم بأخذ الدروس، والحلقات وتعليم غيرها وحضور الفعاليات، وكذلك نجد أنها تقوم بمناهضة فكرية للمجتمع ولمن حولها وينتمون إليها في محيط العمل، أو الأسرة أو الأقارب وقد يكون أفراد من عائلتها، حملوا عليها لسيرها في هذا الطريق، وأشد من ذلك عندما يكون الزوج أو الأب هو الحائل المنيع الذي يقف أمامها ويمنعها من السير في ركب الدعوة؛ إلا أنها تصبر في مواجهة كل ذلك وتحتسب وتنتظر أن يغير الله حالها إلى ما تتمنى.

وتكابد المرأة إذا قضى الله سبحانه أن يُسجن زوجها، ويقضي العديد من السنوات وراء القضبان؛ حيث تبقى وحدها تكابد مرارة الفراق، وتحمُّل المسؤولية من بيت وأولاد وأسرة، لكن كل هذه الصور القاتمة لا تفتُّ في عضدها ولا تثنيها عن مواصلة السير، ولها في أمثال الصحابيات المثل الأعلى.

أم سلمة رضي الله عنها واحدة من القدوات التي تحمَّلت الأذى الشديد في سبيل الدعوة، فقد هاجرت بدينها إلى الحبشة ثم إلى المدينة المنورة، وقد كان رسول الله يطلب مشورتها ويأخذ بها، ولا ينسى التاريخ الدور العظيم الذي قامت به أسماء بنت أبي بكر في الهجرة، وأم عمارة في الجهاد، وغيرهن الكثير.

ولن ننسى حاملات الدعوة في أوزبيكستان أو قرغيزستان؛ حيث الظلم والقهر والسجن لعشرات السنين، ولكن مع كل هذا الظلم والقهر نجدها تبقى صابرة ثابتة لا تتراجع أو تتوانى عن المضي قدمًا محتسبة الأجر والثواب من الله، وغايتها إرضاء الله تعالى.

ومع فهمها الصحيح للإسلام بأنه الانصياع لأمر الله في فرضية حمل الدعوة، وفي جميع أمور حياتها كلها صغيرة كانت أم كبيرة، تقاوم بكل شراسة أفكارًا مضلِّلة شوَّهت صورة المرأة المسلمة، ودفعت بها إلى الضلال والانحراف، بادعاء المحافظة على حريتها والمدافعة عن حقوقها، وإيهامها أنهم يسعون وراء سعادتها وحريتها باتفاقيات وقوانين، وهم قد بذلوا الأموال وسخَّروا كل ما يستطيعون من نسويات وجمعيات وبرامج وإعلام... بإشراف علماء السلاطين الذين أمالوا عنق النصوص وألبسوها ثوب الشرع المزيَّف؛ لتلائم ما ترنو إليه نفوسهم الخبيثة بإخراج المرأة من حصنها الحصين بيتها، ومن دفء الأسرة إلى وهم الحقوق المزيفة كأمثال حقوق المرأة والطفل، التي هي في حقيقتها إضاعة وفقدان لهذه الحقوق.

ولكن هيهات هيهات لهم أن ينجحوا في تحقيق أهدافهم الخبيثة، بوجود من يفضح مخططاتهم الماكرة، ويظهر تآمرهم وكيدهم للأمة ومحاولتهم انتزاع عباءتها، التي تسترها وتحميها من عواصف الفساد والرذيلة؛ لكنهم بإذن الله سوف يفشلون وتذهب ريحهم، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

وها هم حملة الدعوة من الرجال والنساء اليقظين، المتنبهين لقضايا الأمة، الحرَّاس الأشداء حماة الثغور، الذين يصلون ليلهم بنهارهم، ويذودون عن مصالح الأمة ويقفون سدًّا منيعًا أمام أعدائها الذين لن يصلوا إلى مرادهم ويحققوا أهدافهم.

إن على حاملات الدعوة أن يبقَين على العهد ماضي في العمل لاستئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة على منهاج النبوة التي يُعز فيها دين الله، ويُحكم فيها بشرعه... اللهم عجل لنا بإقامتها ورفع رايتها لننعم نحن وأولادنا بعز الإسلام ونصره، ونرجو الله أن نكون من جنودها وشهودها. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الإسلام

فارس الفارس

عضو المكتب الاعلامي لحزب التحرير

ولاية العراق

ونحن نسعى لتغير حياة المسلمين لا بد من معرفة واقع دار المسلمين اليوم... هل هي دار إسلام أم دار كفر؟ ونحن هنا لا نتحدث عن سكانها وإنما عن الدار أو البلدِ أو الوطنِ الذي يسكنه مجموعةٌ مِن النّاس وهذا يستدعي فهم النصوص والأدلة بصورة دقيقة ثم ربطها مع الواقع الذي نعيشه وإنزالها عليه لنستطيع أن نصدر الحكم بشكل لا لبس فيه..

بداية نقول أنّ الدّيارَ تنقسم إلى دارين دار إسلامٍ، ودار كفرٍ، حيث ورد ما يؤيد هذا المعنى ما جاء في حديث بُرَيْدة رضي الله عنه أنّ النّبي ﷺ كان إذا أرسل سريّةً أو جيشًا أوصى قائدَها قائلًا: «ثمّ ادعهم إلى الإسلامِ، فإنْ أجابوك، فاقبلْ منهم، وكُفَّ عنهم، ثمّ ادعهم إلى التّحوّل مِن دارهم إلى دار المهاجرين» رواه مسلم. وأيضًا قال ﷺ: «لا يَقبلُ اللهُ عز وجل مِن مشركٍ بعدما أسلم عملًا، أو يفارقَ المشركين إلى المسلمين» رواه النّسائي وابنُ ماجة بإسنادٍ حسن- فدلّت هذه النّصوصُ على وجود دارَين دار إسلام ودار كفر...

دار الإسلام هي الدار التي يعيش أهلها تحت ظل الإسلام، سواء أكانت هذه الدار صغيرة أم مترامية الأطراف. وهذا يتحقق بأمرين:

أن تكون أحكام الإسلام مطبقة على الرعيّة في جميع شؤون الحياة، داخليًّا وخارجيًّا.

أن يكون أمان هذه الدار بأمان المسلمين متمثّلًا بأجهزة الدولة وعلى رأسها الخليفة.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ﴾ فمن مستلزمات تمكين الدين تطبيقه ووجود الأمان للحفاظ عليه. وهما الأمران اللازمان للدار لتكون دار إسلام. هذا بالاضافة إلى الآيات الأخرى التي جاء فيها وجوب الحكم بما أنزل الله، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ

دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾. ومن أدلة ذلك أيضًا ما جاء في وثيقة المدينة، فقد ورد في هذه الوثيقة «وإنّه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإنّ مردّه إلى الله ومحمد صلى الله عليه وسلم...» وهذا لا يدع مجالًا للشك في أن الحكم في هذه الدار هو للإسلام فقط. وهذا ما فهمه الصحابة الكرام وطبقوه عمليًّا في الفتوحات الإسلامية؛ إذ كان مجرد خضوع البلد وسكانها لحكم الإسلام تصبح جزءًا من دار الإسلام وإن بقي أهلها على دينهم. وفي المقابل إن احتلَّ الكفار بلدًا من دار الإسلام، أصبحت دار كفر، وإن كان أهلها مسلمين.

وبناءً على هذا الوصف الذي قدَّمناه للدار، فإن واقع بلاد المسلمين اليوم يقول إنها دار كفر لأنها لا تحكم بالإسلام ولأن أمانها ليس بيد المسلمين... وهنا قد يقول قائل لماذا لا تكون دار إسلام؟ بناءً على أنّها تطبق بعض أحكام الإسلام، أو أنها تنص في دستورها على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام، أو أن الإسلام هو المصدر الرئيس للأحكام ... فنقول: إن كل ماسبق لا قيمة له؛ لأن الأصل هو تحكيم الإسلام في جميع شؤون الحياة؛ بحيث تكون العقيدة الإسلامية هي الأساس الوحيد لكلّ ما في الدولة من أفكار ومفاهيم وأنظمة. وبنظرة سريعة على واقع هذه الدول يجد أنها تدعو إلى تطبيق الديمقراطية المبنية على عقيدة فصل الدين عن الحياة.كما إنها تلتزم بقوانين وأنظمة وضعية في سياستها الداخلية والخارجية... وزيادة في إيضاح واقع دار الإسلام المتمثل بالخلافة واختلافها عما هو موجود الآن من أنظمة، لا بد من بيان أوصاف وأسس هذه الدولة والتي منها:

أولًا: **السيادة للشرع فقط في كل نواحي الحياة،** فلا سيادة للعقل ولا للأكثرية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾.

فالحاكم يبايعه الناس ليُنفذ الشرع، فإنْ هو خرج عن الشرع حاسبوه هم حتى يرجع هو إليه، وإن خرج الناس الذين بايعوه عن الشرع حاسبهم هو حتى يرجعوا هم إليه.

ثانيًا: **السلطان للأمة؛** حيث تبايع الأمة الخليفة لينوب عنها في تطبيق الشرع، قال ﷺ: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبيٌّ خلفه نبيٌّ، وإنه لا نبّيَ بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فُوا ببيعةِ الأول فالأول، وأعطوهم حقهم،**

فإنَّ الله سائلهم عمّا استرعاهم» رواه مسلم. وهذا السلطان يظل بيد الخليفة ما دام ملتزمًا بالشرع.

ثالثًا: **وجود خليفة واحد للمسلمين؛** إذ يحرم على المسلمين أن يكون لهم أكثر من خليفة واحد، قال ﷺ: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» رواه مسلم. وقد أجمع الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ على هذا الحكم.

رابعًا: **للخليفة وحده حق تبني الأحكام الشرعية فيما له علاقة برعاية شؤون الرعية.** فإذا تعدَّدت الاجتهادات فهو المسؤول أمام الله، وتجاه المسلمين عن تبنِّي حكم شرعي من هذه الاجتهادات، الذي يغلب على ظنّه أنه الصواب لتطبيقه.

خامسًا: **جهاز الحكم في دولة الخلافة،** وما يميّز دولةَ الخلافة أن لها جهازًا تنفيذيًّا خاصًّا بها، ويتكون هذا الجهاز من: الخليفة، والمعاونين، والولاة، وأمير الجهاد، والقضاة، والجهاز الإداري، ومجلس الشورى...

سادسًا: **ليس لدولة الخلافة حدود ثابتة تقف عندها لأنّها مكلّفة شرعًا بوجوب حمل الإسلام إلى الناس كافّة،** وتطبيقه عليهم، سواء أسلموا أم لم يسلموا، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾.

سابعًا: **الدولة الإسلامية تلتزم بأحكام الإسلام في سياستها الداخلية والخارجية،** فيحرم عليها التحاكم إلى قوانين الأمم المتحدة ومجلس الأمن. أو انضمامها إلى أحلاف أو معاهدات يكون السلطان فيها للكفار على المسلمين، لقوله تعالى: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلٗا﴾.

ثامنًا: **اللغة العربية هي اللغة الرسمية للتخاطب محليًّا ودوليًّا،** وهي لغة التثقيف والتعليم والإعلام؛ لأنها لغة القرآن والسنة. وأما تعلّم لغات أخرى غير العربية فهو فرض على الكفاية، تقوم به الدولة قدر ما يسدّ حاجتها.

هذه الأسس والمميزات لدولة الخلافة المستنبطة من الأدلة الشرعية يجب أن تكون واضحة لدى المسلمين بشكل عام، وعلى حملة الدعوة بشكل خاص، وهم يعملون لاستئناف الحياة الإسلامية بإقامة دولة الخلافة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾■

أكسيوس: خارجية الاحتلال تتواصل مع البرهان والموساد مع حميدتي لوقف القتال

كشف موقع (اكسيوس) عن اتصالات (إسرائيلية) مع طرفي الصراع في السودان. ونقل الموقع عن ثلاثة مسؤولين (إسرائيليين) قولهم إن تل أبيب تستخدم علاقاتها مع قادة الجيش وقوات الدعم السريع لوقف القتال. وأشار الموقع إلى العلاقة التي بنتها تل أبيب خلال السنوات الثلاث الماضية مع الجنرال عبد الفتاح البرهان والجنرال محمد حمدان دقلو، مكنتها من التوسط بين الطرفين المتحاربين. ويكشف الموقع عن وجود قلق على الوضع في السودان لأنه قد ينهي منظور اتفاق السلام بين الخرطوم وتل أبيب.ويقول المسؤولون (الإسرائيليون) إن وزارة الخارجية (الإسرائيلية) قامت وخلف الأضواء بالتواصل مع البرهان في قضايا التطبيع، أما الموساد فقد تواصلت مع حميدتي للتعاون في الأمن وقضايا مكافحة الإرهاب. وقال المسؤولون (الإسرائيليون) إنهم كانوا يتابعون قبل اندلاع القتال الاتفاق الإطاري الذي كان سيقود إلى حكومة بقيادة مدنية. وأشار المتحدث باسم وزارة الخارجية (الإسرائيلية) إلى أن الحكومة «تدعو إسرائيل كل الأطراف تجنب العنف والعودة إلى طريق المصالحة الوطنية من أجل إنهاء عملية التحول الحكومي وبإجماع واسع». واتهم حميدتي مصر بالتعاون مع الجيش وإرسال مقاتلات عسكرية لدعم الجيش السوداني. ونفت القاهرة المزاعم وقالت إن قواتها كانت تقوم بمناورة عسكرية مشتركة مع الجيش السوداني. وبحسب تقرير الموقع، فقد قرر المسؤولون (الإسرائيليون) الاكتفاء بدعوة الطرفين لوقف القتال وعدم دعم أي منهما.

الوعي: تصوروا المستوى الذي وصل إليه حكام السودان من الدنو والسفالة أنهم باتوا لا يرون حلًّا لمشاكلهم إلا عن طريق اليهود، من قبل استجدوا اليهود حتى يقوموا بالوساطة لهم من أجل رفع العقوبات الأمريكية عنهم. وها هم اليهود الآن يعرضون وساطتهم من أجل إيقاف الصراع الدموي الدائر بين أقبح رجلين عرفهما السودان في تاريخه العسكري: (البرهان-حميدتي) اللذين يطلبان النصيحة من الشياطين... فيا أهل السودان، أليس لله عليكم حق تجاه هذين المنكَرين؟!

صحيفة عبرية: الإمارات لا تفكر في التراجع عن اتفاقيات التطبيع

أكدت صحيفة (إسرائيل اليوم) العبرية أن الإمارات العربية المتحدة ورغم التوجهات اليمينية المتطرفة لحكومة الاحتلال (الإسرائيلي) بزعامة بنيامين نتنياهو، إلا أنها لا تفكر في التراجع عن اتفاقيات التطبيع التي أعلن عنها يوم ١٣ آب/ أغسطس ٢٠٢٠م. ونوهت الصحيفة إلى أنه «في الوقت الذي عزز فيه وزير الخارجية الإسرائيلي إيلي كوهن، علاقات إسرائيل في وسط آسيا، تم استدعاء نائبين من الكنيست إلى جنوب القارة وهما؛ أوهد طل وموشيه سولمون، وكلاهما من حزب «الصهيونية الدينية» (بزعامة المتطرف بتسلئيل سموتريتش)، ووجهت لهما الدعوة من حكومة الإمارات لسلسلة لقاءات مع قيادة الدولة» وأوضحت أنه «في الأيام العادية لا يكون لقاء لنائب في الكنيست في دولة أجنبية شيئًا ما يستحق التشديد عليه، أما هذه المرة فالرسائل التي سمعها النائبان المتدينان في أبو ظبي في الآونة الأخيرة، كفيلة في نهاية المطاف بأن تحسم مصير «اتفاقات إبراهام» (التطبيع) بنعم، إلى هذا الحد» وذكرت الصحيفة أنه «طلب من طل وسولمون، من خلال وزراء، نواب ورجال أعمال من الإمارات أن يشرحا معنى نوايا وتصريحات الحكومة في إسرائيل، وضمن أمور أخرى التقيا مع د. رشيد النعيمي وهو من المشجعين الكبار للتطبيع مع (إسرائيل)، كما أوضح هو وآخرون بأن «اتفاقات إبراهام» لا رجعة عنها، وأن الإمارات لن تجري التفافة حدوة حصان» وقالت الصحيفة إن «الإماراتيين لا يفكرون بأي حال في هذه اللحظة في التراجع عن «اتفاقات إبراهام»، لكن معضلة ستثور إذا لم تستقر إسرائيل بذاتها، وإذا لم يصْح اليمين الإسرائيلي ولم تتوقف محافل في اليسار الإسرائيلي عن تخريب مكانة إسرائيل في العالم».

الوعي: إن الإمارات ذات مواقف ثابتة مع التطبيع مع الكيان العدو للإسلام والمسلمين، ولا تحيد عنه، وكذلك هي ذات مواقف ثابتة في العداء للمسلمين... على كل إننا ننتظر لهم من الله يومًا أسود، وإنه لآت بإذن الله.

بيانات فيسبوك تكشف: صفحة حميدتي الرسمية تدار من الإمارات.

كشفت بيانات موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك" أن الصفحة الرسمية لقائد قوات الدعم السريع في السودان، محمد حمدان دقلو «حميدتي» تتم إدارتها من دولة الإمارات العربية المتحدة. وتحققت (عربي٢١) من صحة بيانات الصفحة الرسمية لقائد قوات الدعم السريع، الذي يخوض حربًا ضد رئيس المجلس السيادي وقائد الجيش السوداني عبد الفتاح البرهان، والتي تداولها نشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي. ووفقًا لقسم «شفافية الصفحات» في فيسبوك،

فإن الصفحة الرسمية لحميدتي تتم إدارتها من الإمارات. وتشير بيانات «فيسبوك»، إلى أن أربعة أشخاص يديرون الصفحة، ثلاثة منهم أخفوا مكان تواجدهم، والرابع يظهر أنه في الإمارات، وهو منشئ الصفحة. وتساءل نشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي، حول علاقة حميدتي بالإمارات، وكان تقرير سابق لموقع «ميدل إيست آي»، ذكر أن حميدتي تمكن من «صناعة علاقات قوية مع السعوديين والإماراتيين، من خلال مشاركتهم في اليمن. وقال النشطاء إن الصفحة التي تمارس التحريض ضد الجيش السوداني، تدار من الإمارات. ويذكر مقال كتبه رئيس تحرير «ميدل إيست آي»، ديفيد هيرست، في أيار/ مايو ٢٠١٩، أن قوات حميدتي تشكل العمود الفقري للقوات السودانية، التي تخوض معارك على الأرض مقابل الحوثيين، ونقل عن مصادر إن «الإماراتيين يمولون حميدتي، ويزودونه بالأسلحة الثقيلة».

الوعي: إنها إمارات محمد بن زايد نفسه... إنك إن لم ترهُ ظاهرًا في التآمر على المسلمين في أي قضيّة ظلم تقع عليهم اليوم، فإنك ستجده قابعًا في أفنيتها وأقنيتها الملوثة، إنه دائمًا هناك في الطرف الذي يكيد للمسلمين... وإنه ليس من فراغ عندما ظهر له رسم كاريكاتوري وعلى رأسه قرني شيطان في وسيلة إعلام غربية.

ارتياح (إسرائيلي) من تغيّر المناهج الدراسية المصرية في زمن السيسي

تحدث تقرير (إسرائيلي) عن حالة من الارتياح لدى المحافل (الإسرائيلية) من التغيرات والتحديثات التي طرأت على الكتب المدرسية المصرية، في الوقت الذي يحكم مصر فيه زعيم النظام الحالي عبد الفتاح السيسي. وذكر تقرير صادر عن «معهد مراقبة السلام والتسامح الثقافي في التعليم المدرسي» المعروف باسم "IMPACT-SE" أنه «رصد في نظام التعليم المصري، وجود تحسينات كبيرة في المواقف تجاه اليهود واليهودية في الكتب المدرسية المنشورة حديثًا»، وفق ما أورده موقع "i٢٤" (الإسرائيلي.) وأشار الموقع إلى أن هذه التحديثات على الكتب المدرسية في مصر، تعبِّر عن «تغيير في اتجاه مصر، التي عرفت ترديًا في العلاقات مع اليهود لأسباب سياسية، ولم تشفع كثيرًا اتفاقية السلام التي بادر إلى إبرامها الرئيس المصري الراحل أنور السادات مع رئيس الوزراء (الإسرائيلي) الراحل بيني بيغن عام ١٩٧٨م». وأوضح «معهد مراقبة السلام والتسامح الثقافي» وهو منظمة غير حكومية (إسرائيلية) تراقب محتوى الكتب المدرسية في «إسرائيل» والشرق الأوسط وحول العالم، أن «التقرير يسلِّط الضوء على واقع متغير؛ حيث إن مصر بصدد عملية «إصلاح» سنوية لمنهجها المدرسي الوطني، والتي بدأت في عام ٢٠١٨م وستنتهي في عام ٢٠٣٠م. وبحسب المعهد (الإسرائيلي)،

أنه و«لسوء الحظ» فإن «التغيير في مصر تدريجي، وهذا يعني أن الملايين من طلاب المدارس المتوسطة والثانوية لا يزالون يتعرضون للصور النمطية البغيضة والمعادية لليهود في موادهم المدرسية»، بحسب زعم المعهد. وأضاف التقرير: «وهذا يشمل لوم اليهود على التسبُّب في معاداة السامية في أوروبا؛ ووصفهم بأنهم مجموعة عرقية تعمل في مجال التمويل؛ وكراهية يهودية جماعية للمسلمين»، منوهًا إلى أنه «لا يتم تدريس الهولوكوست، على الرغم من أن أحد كتب التاريخ يلقي باللوم على الصهاينة لاستغلالهم، والادِّعاء بأن ستة ملايين يهودي قتلوا أو أحرقوا على أيدي النازيين من أجل تبرير هجرة اليهود إلى فلسطين على حساب العرب».

بعد مرور ٧٥ عامًا على احتلال فلسطين... كم عدد سكان «إسرائيل»؟

مع مرور الذكرى ٧٥ على إقامة دولة الاحتلال (الإسرائيلي) على أرض فلسطين المحتلة، صدرت إحصائيات حديثة عن عدد المستوطنين (الإسرائيليين) في الأرضي الفلسطينية المحتلة. وأفادت معطيات مكتب الإحصاء المركزي (الإسرائيلي)، بأن سكان (إسرائيل) عشية ما يسمى لدى الاحتلال بـ«يوم الاستقلال» الـ ٧٥، بلغ ٩,٧٢٧ ملايين نسمة، منهم ٧,١٤٥ ملايين يهودي (٧٣,٥ بالمئة)، ٢,٠٤٨ مليون عربي (٢١ بالمئة) و٥٣٤ ألفًا آخرين (٥,٥ بالمئة)»، وفق ما أوردته صحيفة (إسرائيل اليوم) في خبرها الرئيس الذي كتبه هيالي يعقوبي هندلسمان. وذكر مكتب الإحصاء، أنه «يعيش في إسرائيل نحو ٢٨ بالمئة أطفال ما بين (٠ – ١٤عامًا)، ونحو ١٢ بالمئة أعمارهم فوق ٦٥ عامًا». وأوضح أن «عدد سكان إسرائيل زاد في السنة الماضية بـ ٢١٦ ألف نسمة؛ نمو بمعدل ٢,٣ بالمئة، وفي هذه الفترة ولد نحو ١٨٣ ألف مولود، ووصل نحو ٧٩ ألف مهاجر يهودي وتوفي نحو ٥١ ألف نسمة. ويشار إلى أنه مع قيام دولة الاحتلال على أرض فلسطين العربية، كان «عدد سكانها نحو ٩٠٦ آلاف نسمة، وبعد مرور ١٠٠ عام على قيامها، أي في عام ٢٠٤٨م سيكون عدد سكانها ١٥,٢ مليون نسمة»، وفق التقديرات (الإسرائيلية) المزعومة. ونوَّهت الصحيفة، إلى أنه «في نهاية ٢٠٢١ كان نحو ٤٦ بالمئة من اليهود في العالم في البلاد (فلسطين المحتلة)»، زاعمة أن «نحو ٧٩ بالمئة من اليهود في إسرائيل هم من مواليد الدولة».

الوعي: إن إحصاءات السكان في العالم غالبًا ما يشوبها التضليل، بالإجمال والتفصيل، لتعلقها بالتركيبة السكانية وإظهار مدى تماسكها أو تفككها... ومعلوم أن زيادة عدد السكان في (إسرائيل) ليس مرتبطًا بالمواليد وإنما بالهجرة إلى الأرض الموعودة بزعمهم.، وهم بهذا الإحصاء كأنهم يريدون أن يعالجوا به ما يدور الكلام عنه من وجود هجرة سلبية متواصلة من الداخل إلى الخارج، والمسلمون مطمئنون إلى أن اليهود سيجتمعون اليوم في فلسطين لاستئصال شأفتهم والقضاء

على كيانهم، بحسب الوعد الرباني لنا عنهم، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾.

استطلاع أمريكي: مواقع التواصل الاجتماعي سببت تراجع الأخلاق بالمجتمع

جاء في استطلاع أجرته نقابة المحامين الأمريكيين، ونشرته وكالة رويترز، أن ٢٩٪ من الشريحة المستطلعة آراؤهم، يرَون أن سبب تراجع مظاهر التحضُّر من الأدب والأخلاق في المجتمع الأمريكي هو مواقع التواصل الاجتماعي، وقال ٨٥٪ من المشاركين، في استطلاع النقابة إن «الكياسة» في المجتمع الأمريكي اليوم أسوأ مما كانت عليه قبل عقد من الزمن. وعندما طلب منهم تحديد العامل الأساسي في تراجع التحضر، قال ٢٩٪ إنها وسائل التواصل الاجتماعي، وقال ٢٤٪ إنها وسائل الإعلام، بينما ألقى ١٩٪ باللائمة على المسؤولين الحكوميين، وقال ٨٪ إن السبب هو النظام التعليمي. وقال رئيس النقابة، ديبورا إنيكس روس، عن النتائج إن البلاد تمر بفترة من الانقسام. وقال ٩٠٪ إن الآباء والأسر هم المسؤولون عن غرس الحضارة في الأطفال. وفي سياق متصل، أصبحت يوتا، الشهر الماضي، أول ولاية أمريكية تشترط على مواقع التواصل الحصول على موافقة الوالدين قبل أن يستخدم أبناؤهم الذين هم دون الـ١٨ سنة حساباتهم، ما يفرض على منصات كإنستغرام وتيك توك التحقق من عمر مستخدميها. وغرّد حاكم ولاية يوتا سبنسر كوكس الذي وقّع مشروعي قانونين مرتبطين بهذا الموضوع: «لم نعد مستعدّين للسماح لمنصات التواصل بالاستمرار في تأثيرها سلبًا على صحة شبابنا الذهنية». ويفرض مشروعا القانونين على مواقع التواصل منح الوالدين حق الوصول الكامل إلى حسابات أبنائهم، واعتماد «حظر» افتراضي يُمنع بموجبه الأطفال من استخدام الحسابات ليلًا. وينص المشروعان على غرامات في حق منصات التواصل في حال استهدفت المستخدمين الذين لا يتخطَّون الـ١٨ عامًا بـ«خوارزميات مسببة للإدمان»، ويسهّلان كذلك على الوالدين مقاضاة الشركات المعنية لتسبُّبها بأذى مالي أو جسدي أو عاطفي.

الوعي: هذه هي أمريكا، مورد الشر في العالم كله، وهي تعاني مما جعلت شعوب العالم تعاني منه، وهي تعيش تناقضات وانقسام عمودي عميق ينبئ بكثير من التداعيات السلبية على كينونة المجتمع الأمريكي الذي ينتظره مزيد من التفكك.

قال الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾

جاء في تفسير (في ظلال القرآن) لسيد قطب (رحمه الله):

«وهذه قاعدة تشريعية عملية لصيانة المجتمع المؤمن من الخصام والتفكك، تحت النزوات والاندفاعات. تأتي تعقيبًا على تبيُّن خبر الفاسق ، وعدم العجلة والاندفاع وراء الحمية والحماسة قبل التثبت والاستيقان. وسواء كان نزول هذه الآية بسبب حادث معين كما ذكرت الروايات، أم كان تشريعًا لتلافي مثل هذه الحالة، فهو يمثل قاعدة عامة محكمة لصيانة الجماعة الإسلامية من التفكك والتفرق. ثم لإقرار الحق والعدل والصلاح، والارتكان في هذا كله إلى تقوى الله ورجاء رحمته. والقرآن قد واجه - أو هو يفترض - إمكان وقوع القتال بين طائفتين من المؤمنين. ويستبقي لكلتا الطائفتين وصف الإيمان مع اقتتالهما، ومع احتمال أن إحداهما قد تكون باغية على الأخرى، بل مع احتمال أن تكون كلتاهما باغية في جانب من الجوانب.

وهو يكلف الذين آمنوا - من غير الطائفتين المتقاتلتين طبعًا - أن يقوموا بالإصلاح بين المتقاتلين. فإن بغت إحداهما فلم تقبل الرجوع إلى الحق - ومثله أن تبغيا معًا برفض الصلح أو رفض قبول حكم الله في المسائل المتنازع عليها - فعلى المؤمنين أن يقاتلوا البغاة إذًا، وأن يظلوا يقاتلونهم حتى يرجعوا إلى أمر الله. وأمر الله هو وضع الخصومة بين المؤمنين، وقبول حكم الله فيما اختلفوا فيه، وأدى إلى الخصام والقتال. فإذا تم قبول البغاة لحكم الله، قام المؤمنون بالإصلاح القائم على العدل الدقيق طاعةً لله وطلبًا لرضاه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾».

وجاء في تفسير(تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن) لابن سعدي:

«هذا متضمن لنهي المؤمنين عن أن يبغي بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضًا، وأنه إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين، فإن على غيرهم من المؤمنين أن يتلافوا هذا الشر الكبير بالإصلاح بينهم والتوسط بذلك على أكمل وجه يقع به الصلح، ويسلكوا الطريق الموصلة إلى ذلك، فإن صلحتا فبها ونعمت، وإن ﴿بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: ترجع إلى ما حدَّ الله ورسوله من فعل الخير وترك الشر الذي من أعظمه الاقتتال. وقوله: ﴿فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ﴾ هذا أمر بالصلح، وبالعدل في الصلح، فإن الصلح قد يوجد ولكن لا يكون بالعدل، بل بالظلم والحيف على أحد الخصمين، فهذا ليس هو الصلح المأمور به، فيجب أن لا يراعى أحدهما، لقرابة أو وطن أو غير ذلك من المقاصد والأغراض التي توجب العدول عن العدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ أي: العادلين في حكمهم بين الناس وفي جميع الولايات التي تَولَّوها، حتى إنه قد يدخل في ذلك عدل الرجل في أهله وعياله، في أدائه حقوقهم، وفي الحديث الصحيح: «المقسطون عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم، وما وُلُّوا »

۞ وجاء في (التفسير الوسيط للقرآن الكريم) لسيد طنطاوي:

والتعبير بـ﴿إن﴾ للإشعار بأنه لا يصح أن يقع قتال بين المؤمنين، فإن وقع على سبيل الندرة، فعلى المسلمين أن يعملوا بكل وسيلة على إزالته... وقوله: ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ والبغي: التعدي وتجاوز الحد والامتناع عن قبول الصلح المؤدي إلى الصواب، أي: فإن بغت إحدى الطائفتين على الأخرى، وتجاوزت حدود العدل والحق، فقاتلوا - أيها المؤمنون - الفئة الباغية، حتى تفيء وترجع إلى حكم الله تعالى وأمره، وحتى تقبل الصلح الذى أمرناكم بأن تقيموه بينهم... وقيَّد سبحانه الإصلاح بالعدل. ثم أكَّد ذلك بالأمر بالقسط حتى يلتزم الذين يقومون بالصلح بينهما العدالة التي لا يشوبها أى حيف أو جور على إحدى الطائفتين».

۞ وجاء في (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير:

يقول تعالى آمرًا بالإصلاح بين المسلمين الباغين بعضهم على بعض :﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ فسماهم مؤمنين مع الاقتتال. وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يُخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت... وقوله:﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ

فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ أي: حتى ترجع إلى أمر الله وتسمع للحق وتطيعه، كما ثبت في الصحيح عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «انصر أخاك ظالـمًا أو مظلومًا» قلت: يا رسول الله، هذا نصرته مظلومًا، فكيف أنصره ظالـمًا؟ قال: «تمنعه من الظلم، فذاك نصرك إياه»... وقوله: ﴿فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ أي: اعدلوا بينهم فيما كان أصاب بعضهم لبعض بالقسط، وهو العدل. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا... حدثنا، عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال: «إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن، بما أقسطوا في الدنيا».

۞ وجاء في (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لابن عطية:

والطائفة: الجماعة، وقد تقع على الواحد، واحتج لذلك بقوله تعالى: ﴿۞وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢﴾... فهذه الآية الحكم فيها في الأفراد وفي الجماعات واحد... وقوله: ﴿بَغَتۡ﴾ معناه : طلبت العلو بغير الحق، ومدافعة الفئة الباغية متوجه في كل حال. وأما التهيؤ لقتالها فمع الولاة، وقيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أمشركون أهل صفين والجمل؟ قال: لا، من الشرك فرُّوا. قيل أفمنافقون؟ قال :لا؛ لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. قيل: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغَوا علينا. وقال النبي ﷺ حكم الله في الفئة الباغية أن لا يجهز على جريح، ولا يطلب هارب، ولا يقتل لهم أسير. و﴿تَفِيٓءَ﴾ معناه: ترجع .والإقساط :الحكم بالعدل.

۞ قال الشافعي (رحمه الله) أي قال الله تبارك وتعالى: «فذكر الله عز وجل اقتتال الطائفتين، والطائفتان الممتنعتان، الجماعتان كل واحدة تمتنع أشد الامتناع أو أضعف إذا لزمها اسم الامتناع، وسماهم الله تعالى المؤمنين، وأمر بالإصلاح بينهم، فحقَّ على كل واحد دعاء المؤمنين إذا افترقوا وأرادوا القتال أن لا يقاتلوا حتى يدعوا إلى الصلح. وبذلك قلتُ: لا يبيت أهل البغي قبل دعائهم؛ لأن على الإمام الدعاء كما أمر الله عز وجل قبل القتال، وأمر الله عز وجل بقتال الفئة الباغية وهي مسماة الإيمان حتى تفيء إلى أمر الله، فإن فاءت لم يكن لأحد قتالها؛ لأن الله عز وجل إنما أذن في قتالها في مدة الامتناع بالبغي إلى أن تفيء».■

بسم الرحمن الرحيم

«لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُسْلِمٍ» (١)

حذّر النبي ﷺ الأمة الإسلامية في أحاديثه الشريفة، مثلما حذر القرآن الكريم، المسلمين تحذيرًا شديدًا من سفك دماء بعضها بعضًا بغير حق، بل جعل أقل من ذلك كالسباب فسوقًا، ولم يقبل منه مجرد الإشارة إليه بالسلاح لو كان من غير قصد الإيذاء... بل إن من عظمة الشريعة الإسلامية أنها لم تجعل حرمة الدماء قاصرة على المسلمين فحسب، بل تعدتها لتشمل كذلك غير المسلمين من المعاهدين والذميين والمستأمنين؛ حيث حرم الإسلام الاعتداء عليهم؛ وذلك فى أحاديث كثيرة من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وكم تشتدّ الحاجة إلى الالتزام بها في هذه الأيام، ومن هذه الأحاديث:

۞ «عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**سِبابُ المسلم فسوق، وقتاله كفر**» هذا الحديث دليل على عظم حق المسلم حيث حكم على سب المسلم أخاه بالفسوق وهو الخروج عن طاعة الله، وأن من قاتل أخاه المسلم لشيء في نفسه أو لدنيا دون أن يعتقد حل دمه فإنه أطلق لفظ الكفر عليه مبالغة في التحذير من غير أن يخرجه عن الملة. ومثله ما حدث أبو زرعة عن جده جرير قال: قال لي إن النبي ﷺ في حجة الوداع استنصت الناس ثم قال: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**» رواه مسلم

۞ رأى أبو بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه الأَحْنَفَ بنَ قَيسٍ مُتوجِّهًا للقِتالِ، قال له: أين تُريدُ؟ قال: أنصُرُ هذا الرجُلَ قالَ: ارْجِعْ؛ فإنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: «**إذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بسَيْفَيْهِما فَالقَاتِلُ والمَقْتُولُ في النَّارِ، فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، هذا القَاتِلُ فَما بَالُ المَقْتُولِ؟ قالَ: إنَّه كانَ حَرِيصًا علَى قَتْلِ صَاحِبِهِ.**» رواه البخاري

۞ عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما يمنعُ أحدَكم إذا جاء من يريد قتله أن يكون مثل ابني آدم، القاتل في النار والمقتول في الجنة**» [رواه أحمد]. وفي موضوع الفتنة بين المسلمين نفسه، حدَّث أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «**في الفتنة كسِّروا فيها قِسِيّكُم وقطِّعوا أوتاركم واضربوا بسيوفكم الحجارة؛ فإن دُخل على أحدكم بيتُه فليكن كخيرِ ابني آدم**» [رواه الخمسة إلا النسائي].

۞ عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «**لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُسْلِمٍ**». رواه البخاري وفي رواية أخرى قال ﷺ: «**زوال الدنيا جميعًا أهون على الله من دم**

يسفك بغير حق». هنا أخبَرَ النَّبيُّ ﷺ أن فَناءَ الدنيا وهلاكُها، «**أهونُ**»، أي: أخفُّ وأقلُّ شأْنًا، «**عند اللهِ مِن قتْلِ رجُلٍ مُسلمٍ**» ظُلْمًا بغيرِ سببٍ شَرعيٍّ، وعدَّه مِن الكبائر.

۞ قال رسول الله ﷺ: «**أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ بِالدِّمَاء**» رواه البخاري. ويشير هذا الحديث إلى تَغْلِيظُ أَمْر الدِّمَاء، وَأَنَّهَا أَوَّل مَا يُقْضَى فِيهِ بَيْن النَّاس يَوْم الْقِيَامَة، وَهَذَا لِعِظَمِ أَمْرهَا وَكَثِير خَطَرهَا.

۞ قال رسول الله ﷺ: «**إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حِله**». رواه البخاري. وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام: «**لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا**». البخاري يعني: ما لم يقتل مؤمناً أو ذمياً أو معاهداً أو مستأمناً، فهذه هي الدماء المحرمة، وأشدها وأعظمها دم المؤمن وفي هذا المعنى أيضًا روى ابن ماجه وابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أيّما رجل أمن رجلًا على دمه ثم قتله، فأنا من القاتل بريء وإن كان المقتول كافرًا**».

۞ عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أبغض الناس إلى الله ثلاثة: مُلْحِدٌ في الحَرَم، ومُبتغٍ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرىء بغير حق ليهريق دمه**». رواه البخاري. وروى الطبراني والبيهقي عنه ﷺ: «**من استطاع أنْ لا يحال بينه وبين الجنة بملء كفه منْ دم أهراقه فليفعل**». وروى ابن ماجة عنه ﷺ: «**من لقي الله لا يشرك به شيئًا لم يتندَّ بدم حرام دخل الجنة**». وفي هذا الحديثِ يَروي عُقبةُ بنُ عامِرٍ الجُهَنِيُّ رضِيَ اللهُ عنه: أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «**مَن لَقِيَ اللهَ لا يُشْرِكُ به شيئًا**»، أي: مات على التَّوحيدِ للهِ مع الإيمانِ الكامِلِ واليَقينِ، «**لم يَتَنَدَّ بدَمٍ حرامٍ**» مِن النَّدى، وهو: قَطراتُ المَطَرِ، والمُرادُ به هنا: قَطراتُ الدَّمِ، لم يُصِبْ مِن الدَّمِ المَعصومِ شيئًا، أو لم يَنَلْه منه شيءٌ بالمُباشرَةِ بنفْسِه، أو بالحَثِّ والحضِّ عليه، «دخَلَ الجنَّةَ»، أي: كان جَزاؤُه الفَوزَ بالجنَّةِ عندَ اللهِ وبفضْلِه منه سُبحانَه، وذلك بعدَ أنْ يُجَازَى على ما كان منه مِن ذُنوبٍ وصغائرَ، ولا يَزالُ المَرْءُ في فُسحةٍ مِن دِينِه ما لم يُصِبْ دمًا حرامًا، كما في صحيحِ البُخاريِّ.

۞ روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ: «**والَّذي نَفْسِي بيَدِهِ، لا تَذْهَبُ الدُّنْيا حتَّى يَأْتِيَ علَى النَّاسِ يَوْمٌ لا يَدْرِي القاتِلُ فِيمَ قَتَلَ، ولا المَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ. فقِيلَ: كيفَ يَكونُ ذلكَ؟ قالَ: الهَرْجُ، القاتِلُ والْمَقْتُولُ في النَّارِ.**» أخرجه مسلم. وفي هذا الحديثِ يُقسِمُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بقولِه: أنَّه لا تَذهبُ الدُّنيا ولا يَفْنى أجَلُها حتَّى يَأتيَ على النَّاسِ زمانٌ فيهِ شرٌّ جَسيمٌ؛ وهو أنَّه لا يَدري كلٌّ من القاتلُ والمقتولُ في أيِّ شَيءٍ قَتَلَ، وسمَّى الرسول ﷺ ذلك بـ«الهَرْجُ» وهو الفِتنةُ والاختلاطُ المُؤدِّيةُ للقَتلِ المَجهولِ. وفي رواية أخرى، قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بال قاتل والمقتول يوم القيامة فيقول: أي ربِّ،**

سلْ هذا فيم قتلني؟ فيقول: أي ربِّ أمرني هذا. فيؤخذ بأيديهما جميعًا فيقذفان في النار».
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأله سائل فقال: يا أبا العباس، هل للقاتل من توبة؟ فقال ابن عباس: كالمعجب من شأنه: ماذا تقول؟ فأعاد عليه مسألته فقال: ماذا تقول؟ مرتين أو ثلاثًا، قال ابن عباس: سمعت نبيكم ﷺ يقول: **يأتي المقتول متعلقًا رأسه بإحدى يديه متلبِّبًا قاتله باليد الأخرى تشخب أوداجه دمًا حتى يأتي به العرش، فيقول المقتول لرب العالمين: هذا قتلني فيقول الله عز وجل للقاتل: تعست ويذهب به إلى النار».**

۞ قال رسول الله ﷺ: «**إذا أصبح إبليس بثَّ جنوده فيقول: من أخذل اليوم مسلمًا ألبسته التاج، قال فيجيء هذا فيقول: لم أزل به حتى طلَّق امرأته، فيقول يوشك أن يتزوج، ويجيء لهذا فيقول: لم أزل به حتى عقَّ والديه، فيقول يوشك أن يبرهما، ويجيء هذا فيقول: لم أزل به حتى أشرك، فيقول أنت أنت، ويجيء هذا فيقول: لم أزل به حتى قتل، فيقول أنت أنت ويلبسه التاج**»، وهذا يبين مدى كبر جريمة القتل عند الله تعالى.

۞ قال رسول الله ﷺ قال: «**يخرج عنق من النار يتكلم يقول وُكِّلت اليوم بثلاثة؛ بكل جبار عنيد، ومن جعل مع الله إلها آخر، ومن قتل نفسا بغير حق، فينطوي عليهم فيقذفهم في حمراء جهنم**».

۞ عن ابن سيرين، سمعت أبا هريرة، يقول: قال أبو القاسم ﷺ: «**من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه.**» أخرجه البخاري. قال الإمام النووي رحمه الله: فيه تأكيد حرمة المسلم والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرض له بما قد يؤذيه. وقوله ﷺ وإن كان أخاه لأبيه وأمه مبالغة في إيضاح عموم النهي في كل أحد، سواء من يتهم فيه أمَّن لا يتهم، وسواء أكان هذا هزلًا ولعبًا أم لا؛ لأن ترويع المسلم حرام بكل حال، ولأنه قد يسبقه السلاح كما صرح به في الرواية الأخرى ، ولعن الملائكة له يدل على أنه حرام.

وعنه ﷺ: «**من حمل علينا السلاح فليس منا**» أخرجه : الطبراني في الكبير. وهذا دليل على تحريم قتال المسلمين وتغليظ الأمر فيه. فقوله: «**فليس منا**»: قد يقتضي ظاهره الخروج عن المسلمين، وقيل فيه: ليس مثلنا أو ليس على طريقتنا أو ما يشبه ذلك. وقال الإمام الصنعاني رحمه الله: قوله ﷺ: «**من حمل علينا السلاح فليس منا**» أي من حمله لقتال المسلمين بغير حق. وقال الإمام النووي رحمه الله: قاعدة مذهب أهل السنة والفقهاء أن من حمل السلاح على المسلمين بغير حق ولا تأويل ولم يستحله فهو عاص ولا يكفر بذلك فإن استحله كفر. وقال الإمام النووي رحمه الله: قوله: (فليس منا) معناه عند أهل العلم أنه ليس ممن اهتدى بهدينا واقتدى بعلمنا وعملنا وحسن طريقتنا كما يقول الرجل لولده إذا لم يرضَ فعله: لست مني... وهكذا القول فى كل الأحاديث الواردة بنحو هذا.[يتبع]

بسم الله الرحمن الرحيم

مواقف عزة في زمن عزَّت فيه المواقف (١)

- يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:« **نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلَّنا الله**». وفي رواية أخرى عنه قال: «**نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب بغير الله بديلًا**».

- يقول الحسن رضي الله عنه:« **إنهم وإن هملجت بهم البراذين، ووطئت أعقابهم الرجال، إن ذُلَّ المعاصي لا يفارق رقابهم، يأبى الله إلا أن يُذِلَّ من عصاه**».

- **موقف النبي ﷺ مع أبي طالب:** جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك يأتينا في كعبتنا ونادينا فيسمعنا ما يؤذينا به، فإن رأيت أن تكفَّه عنا فافعل، فقال لعقيل ابن عم الرسول ﷺ: يا عقيل التمس لي ابن عمك، فخرج وبحث عنه، فلما وجده ذهب به حتى انتهى إلى أبي طالب، فقال له أبو طالب: يا ابن أخي، واللهِ ما علمتُ إن كنتَ لي لمطيعًا، وقد جاء قومك يزعمون أنك تأتيهم في كعبتهم وناديهم تُسمعهم ما تؤذيهم به، فإني رأيتُ أن تكفَّ عنهم. فحلَّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فقال: «**واللهِ ما أنا بأقدر على أن أدع ما بُعثتُ به من أن يشتعلَ أحدُكم من هذه الشمس شعلةً من نارٍ. فقال أبو طالب: والله ما كذب قط، ارجعوا راشدين**».

- **موقف أم حبيبة رضي الله عنها مع أبي سفيان قبل إسلامه:** دخل أبو سفيان على ابنته أم حبيبة رضي الله عنها، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه، فقال: يا بُنيَّة، أرغبتِ بهذا الفراش عني، أم بي عنه؟، فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت امرؤٌ نجسٌ مشركٌ، فقال: يا بنية، لقد أصابكِ بعدي شرٌّ.

- **موقف سعد بن معاذ رضي الله عنه مع النبي ﷺ يوم الأحزاب:** لما اشتدَّ على الناس البلاءُ يوم الأحزاب، بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المري وهما قائدا غطفان، وأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة (المجاذبة) ـ فلما أراد الرسول ﷺ أن يفعل ذلك بعث إلى السعدين، فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله، أمرًا تحبه فنصنعه، أم شيئًا أمرك الله به لابد لنا من العمل به، أم شيئًا تصنعه لنا؟ فقال: «**لا، بل شيءٌ أصنعه لكم. واللهِ ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب رمتكم عن قوسٍ**

واحدٍ وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما». فقال له سعد بن معاذ رضي الله عنه: يا رسول الله، قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرةً واحدةً إلا قِرًى أو بيعًا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعَّزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال النبي ﷺ: «**أنت وذاك**» فتناول سعد بن معاذ رضي الله عنه الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال رضي الله عنه: ليجهدوا علينا.

- **موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أبي عبيدة رضي الله عنه:** عن طارق بن شهاب قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام ومعنا أبو عبيدة فأتوا على مخاضةٍ، وعمر على ناقته فنزل عنها وخلع خفَّيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة. فقال أبو عبيدة رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا؟ تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة؟! ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك. فقال عمر رضي الله عنه: أوَّه ! لو قال ذا غيرك أبا عبيدة لجعلته نكالًا لأمة محمدٍ ﷺ «**إنّا كنّا أذل قومٍ فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله**».

- **موقف سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مع أمه:** لـمـَّا أسلم سعدٌ رضي الله عنه وعلمت أمه بخبر إسلامه ثارت ثائرتها وأقبلت عليه تقول: يا سعد، ما هذا الدين الذي اعتنقته فصرفك عن دين أمك وأبيك؟، والله لتدعنَّ دينك الجديد أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فيتفطر فؤادك حزنًا عليَّ ويأكلك الندم على فعلتك التي فعلت وتعيِّرك الناس بها أبدَ الدهر، فقال لها سعدٌ رضي الله عنه: لا تفعلي يا أماه، فأنا لا أدع ديني لأي شيءٍ؛ لكنها مضت في وعيدها، فاجتنبت الطعام والشراب ومكثت أيامًا على ذلك لا تأكل ولا تشرب، فهزل جسمها ووهن عظمها وخارت قواها، فجعل سعد رضي الله عنه يأتيها ساعةً بعد ساعةٍ ويسألها أن تتبلع شيئًا من الطعام أو قليلًا من الشراب فتأبى ذلك أشد الإباء، وتُقسم ألا تأكل أو تشرب حتى تموت أو يودِّع سعدٌ رضي الله عنه دينه، فقال سعد رضي الله عنه: يا أماه، إني على شديد حبِّي لك لأشدُّ حبًّا لله ورسوله، ووالله لو كان لكِ ألف نفس فخرجت منك نفسًا بعد نفسٍ ما تركت ديني هذا لشيءٍ، فلما رأت الجدَّ من سعدٍ رضي الله عنه أذعنت للأمر وأكلت وشربت على كرهٍ منها.

موقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع عمرو بن عبد ودّ: كان عمرو بن عبد ود ثالث قريش، وكان قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، ولم يشهد أحدًا، فلما كان يوم الخندق خرج معلمًا ليرى مشهده، فلما وقف هو وخيله قال له علي: يا عمرو قد كنت تعاهد الله لقريش أن لا يدعو رجل إلى خلتين إلا قبلت منه إحداهما، فقال عمرو: أجل، فقال له علي رضي الله عنه: فإني أدعوك إلى الله عز وجل وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

والإسلام، فقال: لا حاجة لي في ذلك قال: فإني أدعوك إلى البراز قال: يا ابن أخي، لمَ ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك، فقال علي: لكني أحب أن أقتلك، فحميَ عمرو فاقتحم عن فرسه فعقره، ثم أقبل فجاء إلى علي، وقال: من يبارز؟ فقام علي وهو مقنع في الحديد، فقال: أنا له يا نبي الله، فقال: إنه عمرو بن عبد ود اجلس، فنادى عمرو: ألا رجل؟ فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمشى إليه علي رضي الله عنه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز ذو نبهة وبصيرة والصدق منجى كل فائز

إني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي، قال: ابن من؟ ابن عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، فقال: عندك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسنُّ منك، فانصرفْ فإني أكره أن أهريق دمك، فقال علي: لكني والله ما أكره أن أهريق دمك، فغضب، فنزل فسلَّ سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضبًا واستقبله علي بدرقته فضربه عمرو في الدرقة فقدها، وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجَّه، وضربه علي رضي الله عنه على حبل العاتق، فسقط وثار العجاج، فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التكبير، فعرف أن عليًّا قتله، ثم أقبل علي رضي الله عنه نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووجهه يتهلَّل، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هلَّا أسلبته درعه، فليس للعرب درع خير منها، فقال: ضربته فاتقاني بسوءته واستحييت ابن عمي أن أستلبه وخرجت خيله منهزمة حتى أقحمت من الخندق.

- **موقف عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه عندما جهر بالقرآن:** اجتمع يومًا أصحاب رسول الله في مكة وكانوا قلةً مستضعفين، فقالوا: واللهِ، ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجلٌ يسمعهم إياه؟ فقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: أنا أُسمعهم إياه، فقالوا: إنَّا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلًا له عشيرة تحميه وتمنعه منهم إذا أرادوه بشرٍّ، فقال: دعوني، فإن الله سيمنعني ويحميني، ثم غدا إلى المسجد حتى أتى مقام إبرهيم في الضحى وقريش جلوس حول الكعبة، فوقف عند المقام وقرأ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ ومضى يقرؤها فتأملته قريش وقالت: ماذا قال ابن أم عبد؟ تبًّا له، إنما يتلو بعض ما جاء به محمد، وقاموا إليه وجعلوا يضربون وجهه وهو يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه والدم يسيل منه، فقالوا له: هذا الذي خشيناه، فقال: واللهِ ما كان أعداء الله أهون في عيني منهم الآن، وإن شئتم لأغادينَّهم بمثلها غدًا، قالوا: لا حسبكَ، لقد أسمعتَهم ما يكرهون.

[يتبع]

بسم الله الرحمن الرحيم

قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي

هو خادم النبيِّ وحاجبه وصاحب لوائه، الصحابي الجليل سيد الخزرج وابن سيدهم، الصحابي ابن الصحابي سعد بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة الساعدي الخزرجي الأنصاري، من بيت زعامة عظيم، ورث المكارم كابرًا عن كابر، وأمه فكيهة بنت عبيد بن دليم الخزرجية. كنيته أبو الفضل، وقيل أبو عبد الله، وقيل أبو عبد الملك. قال عمرو بن دينار: «كان قيس بن سعد رجلًا ضخمًا، جسيمًا، صغير الرأس، ليست له لحية، إذا ركب حمارًا خطت رجلاه الأرض، فقَدِمَ مكة، فقال قائل: من يشتري لحم الجزور»، وكان ليس فِي وجهه لحية ولا شعر، فكانت الأنصار تقول: «وددنا أن نشتري لقيس لحيةً بأموالنا». وكان مع ذلك جميلًا.

حين أسلم سعد بن عبادة ﷺ أخذ بيد ابنه قيس وقدَّمه إلى الرسول ﷺ قائلًا: «هذا خادمك يا رسول الله». ورأى النبي ﷺ في قيسٍ كلَّ سمات التفوُّق وأمائر الصلاح، فأدناه منه وقرَّبه إليه، وظل قيس صاحب هذه المكانة دائمًا. خدم قيس رسول الله ﷺ عشر سنين، وروى البخاري عن أنس بن مالك ﷺ «أن قيس بن سعد بن عبادة كان يكون بين يدي النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرط من الأمير»، أي: مما يلي من أموره، فلما كان فتح مكة سنة ٨هـ كلم سعد النبي ﷺ في قيس أن يصرفه عن الموضع الذي وضعه، مخافة أن يُقْدِمَ على شيء، قال: فَصَرَفَهُ.

شهد قيس مع الرسول ﷺ المشاهد كلها، قال ابن شهاب: «كان حامل راية الأنصار مع رسول الله ﷺ قيس بن سعد بن عبادة» وكان من ذوي الرأي من الناس، كما أعطاه رسول الله ﷺ الراية يوم فتح مكة؛ إذ نزعها من أبيه سعد عندما قال: «اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحلُّ المحرمة، اليوم أذلَّ الله قريشًا»، وجعله بيد قيس ابنه، فقال رسول الله ﷺ: «**اليوم يوم المرحمة، اليوم أعز الله قريشًا**». ورأى رسول الله ﷺ أن اللواء لم يخرج عنه، إذ صار إلى ابنه، وحينها أبى سعد أن يسلم اللواء إلا بأمارة من رسول الله ﷺ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ بعمامته.

وعن عاصم بن عمرو بن قتادة أن رسول الله ﷺ استعمل قيس بن سعد بن عبادة ﷺ على الصدقة، وكان قيس سيدًا مُطاعًا، كثير المال، جوادًا كريمًا، من فضلاء الصحابة، وأحد دهاة العرب وكرمائهم، وكان من ذوي الرأي الصائب والمكيدة فِي الحرب، مَعَ النجدة والشجاعة، وكان من بيت سيادة العرب. قال أبو عمر الواقدي: «كان قيس بن سعد بن عبادة من كرام أصحاب رسول الله ﷺ وأسخيائهم ودهاتهم، ومن أهل الرأي والمكيدة فِي الحروب مع النجدة والبسالة والسخاء والكرم، وكان شريف قومه غير مدافع، هو وأبوه وجدُّه، صحب قيس بن سعد النبي ﷺ وهو وأبوه وأخوه سعيد بن سعد بن عبادة».

ولم يكن بين خصال قيس بن سعد بن عبادة ما يفوق ذكاءه سوى جوده، ولم يكن الجود خلقًا طارئًا على قيس، فهو من بيت عريق في الجود والسخاء، كان لأسرة قيس، على عادة أثرياء وكرام العرب يومئذ، منادٍ يقف فوق مرتفع لهم وينادي الضيفان إلى طعامهم نهارًا، أو يوقد النار لتهدي الغريب الساري ليلًا. وكان الناس يومئذ يقولون: «من أحبَّ الشحم، واللحم، فليأت أُطُم دليم بن حارثة»، فلما مات دليم نادى منادي عبادة بمثل ذلك، ثم مات عبادة فنادى منادي سعد بمثل ذلك، قال نافع مولى ابن عمر: «ثم قد رأيت قيس بن سعد بن عبادة كان من أجود الناس». وعن جابر ﷺ قال: خرجنا في بعث كان عليهم قيس بن سعد بن عبادة فنحر لهم تسع ركائب، فلما قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا له ذلك من فعل قيس بن سعد، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الجود من شيمة أهل ذلك البيت**». كان قيس في جيش العسرة، وكان ينحر ويطعم حتى استدان بسبب ذلك، فنهاه أبو عبيدة بن الجراح عن ذلك. وروي أن رجلًا استقرض منه ثلاثين ألفًا فلما ردها عليه أبى أن يقبلها، وقال: إنّا لا نعود في شيء أعطيناه. وكان من دعاء قيس بن سعد ﷺ: «اللهم ارزقني حمدًا ومجدًا، فإنه لا حمد إلا بفعال، ولا مجد إلا بمال، اللهم لا يصلحني القليل، ولا أصلح عليه».

ومن مشهور أخبار قيس بن سعد بن عبادة أنه كان له مال كثير ديونًا على الناس، فمرض واستبطأ عُوَّادَه، فقيل له: إنهم يستحيون من أجل دينك، فأمر مناديًا ينادي: من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو له، فأتاه الناس حتى هدموا درجة كانوا يصعدون عليها إليه. وقال سفيان الثوري: عن عمرو، عن أبي صالح قال: قسم سعد بن عبادة ماله بين أولاده وخرج إلى الشام فمات فيها، فولد له ولد بعد وفاته، فجاء أبو بكر وعمر إلى قيس بن سعد فقالا: إن أباك قسم ماله ولم يعلم بحال هذا الولد إذا كان حملًا، فاقسموا له معك، فقال قيس: إني لا أغير ما فعله سعد؛ ولكن نصيبي له.

كان قيس مثالًا يحتذى به في الصلاح والتفوق، ممّا جعل الرسول يقرّبه إليه، وممّا يؤكّد ذلك ما رواه الترمذي عن قيس بن سعد، حيث قال: «أنَّ أباهُ دفعَهُ إلى النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ يخدُمُهُ، قالَ: فمرَّ بيَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ وقد صلَّيتُ فضرَبني برجلِهِ وقالَ: «**ألا أدلُّكَ على بابٍ من أبوابِ الجنَّةِ؟**» قلتُ: بلى. قالَ: «**لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللَّهِ**»»

حين كان قيس، قبل الإسلام يعامل الناس بذكائه كانوا لا يحتملون منه ومضة ذهن، ولم يكن في المدينة وما حولها إلا من يحسب لدهائه ألف حساب، فلما أسلم، علّمه الإسلام أن يعامل الناس بإخلاصه لا بدهائه، ومن ثمّ نحّى دهاءه جانبًا، ولم يعد ينسج به مناوراته القاضية، وصار كلما واجه موقعًا صعبًا، يأخذه الحنين إلى دهائه المقيَّد، فيقول عبارته المأثورة: «لولا الإسلام، لمكرتُ مكرًا لا تطيقه العرب»، وكان يقول: «لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المكر والخديعة في النار**» لكنت من أمكر هذه الأمة».

كان لقيس بن سعد بن عبادة ﷺ عدة أحاديث، روى عنه جماعة من الصحابة وجماعة من التابعين، وَهُوَ معدود فِي المدنيين، وعاش قيس في المدينة، حتى توفي في آخر خلافة معاوية سنة ستين للهجرة. ■

أستاذ القانون نوح فيلدمان: سعيِّد يعتقل أهم ديمقراطي إسلامي في العالم

علَّق أستاذ القانون المعروف في جامعة هارفارد نوح فيلدمان (الحاصل على درجة دكتوراه الفلسفة في الفكر الإسلامي من أكسفورد عام ١٩٩٤م، وهو يتقن اللغة العربية) في مقال نشرته وكالة (بلومبيرغ) وصحيفة (واشنطن بوست) على اعتقال الغنوشي بالقول إن تونس تواصل الانحدار «من ديمقراطية الربيع العربي إلى ديكتاتورية، مع اعتقال واحتجاز راشد الغنوشي، وهو أهم ديمقراطي إسلامي في العالم، والزعيم الروحي لأهم حزب معارض في البلاد» وأضاف في المقال الذي ترجمته (عربي٢): «إنها أخبار مروعة لما كان، حتى وقت قريب، الديمقراطية العربية الوحيدة الفاعلة». وعنه قال: «الغنوشي هو أهم زعيم مسلم لم تسمعوا عنه من قبل» وقال إنه قد «ساهم في صياغة الدستور الديمقراطي للبلاد بقيادة النهضة، وشارك في الحكومة». وأوضح أنه: «خلال السنوات التي قضاها في المنفى، طوَّر الغنوشي، وهو حداثي إسلامي، نظرية شاملة لكيفية توافق الإسلام والديمقراطية، وكيف يمكن أن يكونا متوافقين. يكمن في جوهر هذه النظرية مبدأ أن الإسلام يدين الإكراه بجميع أنواعه، بما في ذلك الإكراه الديني. ومن هذا المنطلق، وفقًا للغنوشي، يجب ألا تَفرض الحكومات المنتخبة ديمقراطيًّا في البلدان ذات الأغلبية المسلمة قانونًا دينيًّا. وأضاف: «تحت قيادة الغنوشي، عمل حزب النهضة كمشارك مسؤول في صياغة الدستور التونسي، الدستور الليبرالي التوافقي، الذي وافق عليه الغنوشي، لم يفرض الشريعة الإسلامية ولم يذكرها حتى... علاوة على ذلك، وجَّه الغنوشي حزبه تدريجيًّا ليصبح أكثر فأكثر ديمقراطية وأقل وأقل إسلامية في توجهه. في النهاية، أعلن الحزب أنه يريد أن يكون حزبًا من الديمقراطيين المسلمين على غرار الأحزاب الديمقراطية المسيحية في أوروبا». وأكَّد أن الغنوشي كان «على استعداد للتفاوض وتشكيل تحالفات مع أحزاب تمثل مختلف الآراء السياسية في تونس. كل هذا يمثل نوعًا من التجربة، واختبار ما إذا كانت الديمقراطية الإسلامية ممكنة حقًا. كان الجواب، ولا يزال، نعم». ووصف فيلدمان تهمة «التحريض» التي يحاكم عليها الغنوشي الآن بـ«الملفقة» وقال: «لقد أثبت الغنوشي مرارًا وتكرارًا على مدى سنوات عديدة أنه رجل سلام. تهمة التحريض منافية للعقل» ومما قاله: «في العام الماضي، كان سعيّد يحاول إعادة تونس إلى وضعها السابق على الربيع العربي كدولة الحزب الواحد. بعد إعلان حالة الطوارئ وقمع الهيئة التشريعية المنتخبة ديمقراطيًّا، أصدر دستورًا جديدًا يزيد من سلطة الرئيس على حساب السلطات الأخرى للحكم. «تمت الموافقة عليه في استفتاء وقاطعته معظم المعارضة. شارك ٣٠٪ فقط من التونسيين».

الوعي: هذا الكلام يكشف حقيقة الغنوشي المغرَّبة. والكاتب يتكلم بألم بالغ عن اعتقال الغنوشي لأنه يعتبره حالة مثالية في فهم الإسلام على الطريقة الغربية: « أهم ديمقراطي إسلامي في العالم... أهم زعيم مسلم لم تسمعوا عنه من قبل»، وهذه شهادة عليه في الإسلام وليست شهادة له.

كتاب (أوطان معادية) يكشف سر توطيد العلاقات بين الهند والاحتلال (الإسرائيلي)

نشرت مجلة (فورن بوليسي) مقالًا للكاتب سوميت جانجولي، قال فيه إن العلاقات بين الهند والاحتلال (الإسرائيلي) في أزهى أوقاتها، مشيرًا إلى أن هناك قاسمًا مشتركًا بين الحكومتين يتمثل في العداء المعلن تجاه الأقليات، خاصة المسلمين. ولفت المقال إلى أن العلاقة الهندية (الإسرائيلية) متعددة الأوجه، توطَّدت بشكل كبير منذ صعود رئيس الوزراء الهندي ناريندرا مودي ونظيره (الإسرائيلي) بنيامين نتنياهو إلى السلطة. وأكَّد الكاتب أن كلًّا من مودي ونتنياهو يرغبان في تحويل بلديهما إلى ديمقراطيات عرقية تمنح الأفضلية للأغلبية الهندوسية في الهند واليهودية في (إسرائيل)، واستعرض المقال كتابًا أصدره الصحفي عيسى آزاد، وحمل عنوان (أوطان معادية: التحالف الجديد بين الهند وإسرائيل) العلاقة الهندية (الإسرائيلية) متعددة الأوجه، تمتد من التدفق السنوي للسياح (الإسرائيليين) الشباب الذين يأتون إلى شواطئ الساحل الغربي للهند للاسترخاء بعد الخدمة العسكرية المطلوبة، إلى التعاون في الزراعة بالتنقيط، إلى بيع الأسلحة المتطورة... لهذه الشراكة الوثيقة تداعيات كبيرة على السياسات الإقليمية والعالمية؛ إذ تمكن العلاقات الثنائية الوثيقة كلا الطرفين من لعب دور أوسع في الشرق الأوسط، وخاصة في الخليج العربي، ويتضح هذا بشكل متزايد من مشاركتهم في الترتيب الرباعي الجديد، I2U2، المصمَّم للحد من نفوذ الصين في المنطقة، وأيضًا لطمأنة الحلفاء بالتزام الولايات المتحدة الدائم تجاه المنطقة. ففي الهند، يتجسد هذا الاتجاه في تشكيل كتيبة هندوتفا (الهندوسية) تحت قيادة مودي وزمرته. وحدثت عملية مماثلة في (إسرائيل) كان آخرها استعداد حزب الليكود اليميني بزعامة نتنياهو لتقاسم السلطة مع الأحزاب اليمينية المتطرفة، بما في ذلك حزب الصهيونية الدينية المتطرف والمناهض للعرب. القاسم المشترك بين الحكومتين الهندية و(الإسرائيلية) هو عداؤهما المعلن تجاه الأقليات: المسلمون في الهند والعرب المسلمون في الغالب في (إسرائيل).

ويذكر الكاتب عيسى آزاد أن كلًّا من مودي ونتنياهو يرغب في تحويل بلديهما إلى ديمقراطيات عرقية تمنح الأفضلية لمجتمع الأغلبية. هذا الخط من المنطق، بقدر ما يذهب، ولا يمكن التشكيك فيه حقًّا، بقدر ما تذهب الحكومتان، فإن هذا القواسم المشتركة ساعد بالتأكيد في تعزيز العلاقة.

الوعي: إن كلًّا من الهند و(إسرائيل) يجمعهما اليوم العداء للإسلام والخشية من قيام دولة الخلافة التي تتوقع الهند أنها ستشكل الخطر الأكبر على موقعها الدولي في التغيير الكوني المرتقب، لأن بلاد المسلمين تطوقها بالإضافة إلى أن هناك إحصاءات تقدر أن عدد المسلمين في الهند نفسها يبلغ حوالى ربع سكان البلد... وبالنسبة إلى (إسرائيل) فإن دولة الخلافة هي الوحيدة والتي ستقضي على كيان يهود قضاء نهائيًّا... فالدولتان تنظران إلى أن الإسلام السياسي ومشروع دولة الخلافة يشكل خطرًا وجوديًّا ماحقًا لهما.